

الباب الثاني الإطار النظري

الفصل الأول: الحوار القرآني

أ. الحوار

١. مفهوم الحوار

قال ابن منظور في لسان العرب: كلمته فلم يرد عليّ جواباً . كلمة حوار وما يرتبط بها من محاوره وحوير ومحورة (بضم الحاء) تأتي بوزن مشورة وتعني الجواب . عبارة أحرار عليه جوابه تعني ردّ جوابه، بينما أحرار له جواباً تعني أنني أجبت له . وإذا قيل ما أحرار بكلمة، فهذا يعني أنه لم يرد بكلمة . الاسم من المحاوره هو الحوير، ويقال: سمعت حويرهما وحوارهما . المحاوره تعني الجاوبه، والتحاوير يعني التجاوب . مثلاً، إذا كلمته ولم يرد عليّ جواباً، فهذا يعني أنه لم يعطني حويراً ولا حويرة ولا محورة ولا حواراً، أي لم يرد جواباً . واستحاره تعني استنطقه . يعرف الحوار بأنه محادثة بين طرفين أو أكثر، تتضمن تبادل الآراء والأفكار والمشاعر، وتهدف إلى تحقيق مستوى يتجاوز الفهم والتفاهم بين الأطراف المشاركة فيها، من أجل تحقيق أهداف محددة يسعى المشاركون في الحوار إلى إنجازها .

والحوار أصبح فناً من الفنون الإنسانية في إطار علم التفاوض الذي أصبح له أسس وقواعد، والحوار سمة من سمات الإنسان القائمة على الكلمة ولا يقصد به أن يتكلم الفرد بل

أن يجعل الآخر يتكلم ويستمع إليه ولو لم يكن كلامه لائقاً، والمقصود من الحوار هو أن تتحلى بالصبر ونستمع للآخر بدون أن يظهر أي شكل من أشكال النزاع، لأن الكلمة هي وسيلة تواصل إنسانية تهدف إلى التفاهم حتى في غياب الاتفاق.^١

٢. عناصر الحوار^٢

عناصر الحوار ثلاثة وهي المحاور والمحاور وموضوع الحوار. المحاور هو الشخص الذي يدير وينظم الحوار، بينما المحاور هو الطرف الآخر الذي يشارك فيه. أما موضوع الحوار، فهو القضية التي يتم النقاش حولها. ويعتبر نقطة الانطلاق التي يستند إليها الحوار، حيث يسعى الأطراف المعنية لتبادل الآراء والاستفادة من رؤية كل منهما حول هذا الموضوع المحدد.

٣. الحوار الأسري

والآن ينتقل إلى تعريف الحوار في مجال الأسرة. فالحوار الأسري هو تفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة عن طريق المناقشة والحديث عن كل ما يتعلق بشؤون الأسرة من أهداف ومقومات ومشاكل يتم الوصول إلى حلها، ويتم ذلك من خلال تبادل الأفكار والآراء الجماعية حول محاور عدة، وهذا مما يؤدي إلى إيجاد الألفة والتواصل.^٣

١ عباس محجوب، سلسلة الدراسات التربوية الإسلامية "الحكمة والحوار علاقة تبادلية"، (الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عالم للكتب الحديثة: ٢٠٠٦)،

ص ١٣٥.

2 <https://www.awraqthaqafya.com/1815/> diakses 25/05/2021

٣ عباس محجوب، سلسلة الدراسات التربوية الإسلامية "الحكمة والحوار علاقة تبادلية"، (الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عالم للكتب الحديثة: ٢٠٠٦)،

ص ١٣٥.

٤ . الحوار في السياق القرآني

أما الحوار القرآني يعرف على أنه كل فرد أو خاطب أو سائل يجوبه القرآن، وزعمه موقفه أو خطبه أو خطبته هم بقصد توجيههم أو توجيههم أو أوضحهم إلى هذا المرأى أو إلى ذاك البيان الحوارى على السؤال أو النداء المطروح. ويؤخذ على هذا التشرىح إضافة إلى النقصان، ومنه النفسية، ومنها الملاحظة جواب القرآن على الحوار.

مادة الحوار بمختلف اشتقاقاتها وردت فى القرآن المكى والقرآن المدينى وهى كالآتى:
لم يرد اسم الحوار بهذه الصيغة بالذات فى القرآن لكن وردت بعض اشتقاقات الحوار فى القرآن المكى ورد فى ستة مواضع من سور مختلفة، جاء بصيغة الفعل المضارع فى ثلاثة مواضع من سورت الإنشاق (يحور) والكهف (يحاوره مرتين) و حورٌ فى ثلاث سور (الدخان و الطور و الواقعة) .

لفظ الحوار فى القرآن المكى:

(أ) لفظ يحور: قال تعالى إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ* (الإنشاق: ١٤)

(ب) لفظ يحاوره:

■ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا
(الكهف: ٣٤)

■ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ
نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا^{٣٧} (الكهف: ٣٧)

(ج) لفظ حور:

- كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ ^{قله} (الدخان: ٥٤)
- مُتَّكِيْنَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ ^٢ (الطور: ٢٠)
- وَحُورٌ عَيْنٌ ^٣ (الواقعة: ٢٢)

هذه الآيات ليست تتكلم عن قضية الإيمان والكفر وما أعد الله للمؤمنين، ففي بداية انتشار الإسلام في الفترة المكية عرفت بتكذيب البعث والنشور و تثبتهم بالكفر الذي وجدوا عليه آباءهم.

ففي سورة الانشقاق: ١٤ ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ و الحور بمعنى ظن أن يهلك .
وسورة الكهف: ٣٧ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ في قصة صاحب الجنتين، لذا جاءت ثلاثة آيات الأولى تتكلم عن محاوره الكافر ومحاوله إقناعه بالإيمان بالله تعالى بالأدلة و البراهين وهذا ما يناسب حال الناس في تلك الفترة من ظهور الإسلام . و أعلق الآتين في سورة الكهف:
٣٤ ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾
هاهنا صاحب الجنتين يوجه الكلام أو الخطاب لصاحبه المؤمن و هو مغرور بالدنيا وما لها ويفتخر على صاحبه وهو مشرك بالله تعالى، ثم رد صاحبه المؤمن، في سورة الكهف: ٣٧ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ فهي مراجعة للكلام الذي قاله المشرك بالله صاحب الجنتين، فقال: أكفرت

بالذي خلقك من تراب فهو رد عليه بإعطائه أدلة عقلية لإقناعه .

فهذا النوع من الحوار، جاء في هذه الفترة لكثرة المشركين و الكافرين بالله تعالى و جاءت بصيغة المضارعة (يحاوره، يحور) إشارة إلى استمرارية الحوار و تجده. أما الآيات الثلاث الأخرى تتكلم عن الحوار العين بعض ما أعد الله لعباده المؤمنين في الآخرة و هو ترغيب للإيمان بالله تعالى .

ووردت اشتقاقات الحوار في القرآن المدني في سبعة مواضع وهي:

(أ) تحاوركما:

■ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (المجادلة: ١)

(ب) حور

■ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ^ج (الرحمن: ٧٢)

(ج) الحواريون

■ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
٥٢ (آل عمران: ٥٢)

■ إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يُعَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا
مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ^ق قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مَّؤْمِنِينَ^ح (المائدة: ١١٢)

■ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَاَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ٤

(الصف: ١٤)

(د) الحواريين

■ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا

مُسْلِمُونَ (المائدة: ١١١)

■ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ... ٤

(الصف: ١٤)

الحوار في القرآن المدني تميز بكونه اشتمل على موضوع الأسرة المتمثلة في حوار السيد خولة بنت ثعلبة مع النبي صلى الله عليه وسلم في أمر زوجها، الذي جاء بصيغة المضارع دلالة على تحديد الحوار واستمراره في الأسرة. ويتشارك الحوار في القرآن المكي والمدني في موضوع الإيمان بالله وما أعده الله لعباده المؤمنين في الجنة الحور العين.

وفي حديث علي - كرم الله وجهه - : يرجع إليكما ابناكما بحور ما بعثنا به أي:

بجواب ذلك . يقال: كلمته فما رد إلي حوراً أي : جواباً . وقيل: أراد به الخيبة والإخفاق .

وأصل الحور: الرجوع إلى النقص . ومنه حديث عبادة: يوشك أن يرى الرجل من ثبج المسلمين

قراءة القرآن على لسان محمد .

٥ . حوار الآباء والأبناء في القرآن

يعد الحوار من أهم المواضيع التي تدور في ساحة النقاش في هذا العصر، وتنوع

وجهات النظر حول أصوله وأنواعه وآدابه، وفق مفاهيم مختلفة بناء على خلفية الباحثين وتخصصاتهم والفئة التي يوجه إليها خطائهم.

الحوار له دور محوري في حياة الإنسان والمجتمع، حيث يساهم في تعزيز التفاهم والتعايش السلمي بين الأفراد والجماعات. من خلال الحوار، يمكن للناس تبادل الأفكار والمعلومات، والتعرف على وجهات نظر مختلفة، وحل النزاعات بطرق سلمية وبناءة. الحوار يعزز الثقة والاحترام المتبادل، ويقلل من سوء الفهم وسوء التواصل الذي قد يؤدي إلى التوتر والصراعات. إن الحوار المفتوح والصادق يشجع على النمو الشخصي والاجتماعي، ويساعد في بناء جسور التواصل بين الثقافات والمجتمعات المختلفة.

وكذلك ظهرت أهمية الحوار كأداة تربوية أساسية في عملية التعليم، حيث يمنحها المربون اهتماما كبيرا بسبب تأثيرها الإيجابي الفعال على الطلاب. يتم تزويد الحوار بأسس وأداب ومبادئ تهدف إلى تحقيق نتائج تعليمية إيجابية. يدرك المربون أن المهارات المتعلقة بالحوار ليست فطرية، بل تتطور من خلال تربية الأسرة والمثال الذي يقدمه الوالدان. بالتالي، يعتبر المربون أن المهارات التربوية التي يتم اكتسابها عبر الحوار في مرحلة الطفولة تؤثر على كيفية تعامل الأفراد مع الحوارات الأخرى في المستقبل.

وقد كثرت المناهج والأساليب، واختلفت، واتفقت فيما بينها، بحثا عن منهجية للحوار تكون هي الأكمل والأشمل. ومن اليقين أن الطريق الأقوم والسبيل الأمثل هو ما جاء به الكتاب العزيز كما قال تعالى:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (الإسراء: ٩)

احتوى القرآن على عدد من النماذج لحوارات الآباء مع أبنائهم، يمكن التمثيل لها بما

يأتي:

- حوار بين الأب الصالح وابنه الصالح مثل الحوار بين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام.
 - حوار بين الأب الصالح وابنه العاصي مثل الحوار بين نبي الله يعقوب وبنيه قبل توبتهم وطلبهم من أبيهم الاستغفار لهم.
 - حوار بين الأب الصالح وابنه الكافر مثل الحوار بين نبي الله نوح وابنه.
 - حوار بين الابن الصالح والأب الكافر مثل الحوار بين نبي الله إبراهيم وأبيه آزر.
- وفي هذه النماذج، اتخذ القرآن منهجية متميزة، حاول الباحث استنباطها وتحديد أسسها وأساليبها، وذلك بدراسة جميع الحوارات التي حصلت بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم، والاستفادة من لفحات القرآن اللغوية والبلاغية والعلمية والنفسية والاجتماعية، التي استخدمها في هذه الحوارات، مع بيان أثرها في تربية الآباء لأبنائهم من خلال التطبيقات التربوية، ثم الاستفادة مما سبق في وضع تصور مقترح يفيد الآباء في تطبيق الحوار مع أبنائهم.

إن التعرف على واقع حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم ومحاولة استنباط منهجيته

في هذه المرحلة الزمنية من عمر الأمة الإسلامية، والتي هي في أحوج ما تكون للرجوع إلى

كتاب ربها والسير وفق هديه، سبيل للتغلب على أي معوق يقف في طريق التربية بإذن الله تعالى .

وكذلك فإنه يمكن للأسرة المسلمة أن توظف التطبيقات التربوية، في تربية أبنائها التربية الإسلامية الصحيحة في هذا العصر وتحقق بهم ما أَرَادَهُ اللهُ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، لقوله تعالى:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿آل عمران: ١١٠﴾ .

ب. أهمية الحوار

أعطى الإسلام أهمية كبيرة لموضوع الحوار، وهو النقاش الذي يحدث بين أفراد يختلفون في آرائهم أو معتقداتهم. إن طريقة الحوار وكيفية توثر على المشاركين بشكل إيجابي أو سلبي. تتجلى أهمية الحوار من عدة جوانب، منها:

١. الحوار هو الوسيلة الأساسية لإقناع الآخرين بالصحيح والوصول إلى الحقيقة.
٢. يُعتبر الحوار الطريقة المثلى للتواصل والتفاهم بين الناس؛ فهو يتيح تبادل الأفكار والمعتقدات بشكل بناء ويعزز التعارف والتآلف.
٣. يُعد الحوار المنهج الأنسب لتجنب النزاعات والحروب؛ فبدون التفاوض العقلاني، يمكن أن تزداد الصراعات وتتفاقم الفوضى، كما حدث في حرب البسوس بين قبيلتي داحس

٤ محمود صالح (١٨-٩-٢٠١٣)، "أهمية الحوار"، شبكة الألوكة، أطلع عليه بتاريخ ٢٩-٧-٢٠١٧. بتصرف.

والغبراء، حيث انتهت بعد أربعين سنة من القتال بعد الحوار الهادئ الذي ساهم في إصلاح الأمور.

٤. الهدف الأساسي من الحوار هو تقديم الأدلة وإزالة الشبهات وتمييز الرأي الصائب من الرأي الخاطئ من خلال الاستدلال الصحيح والشواهد المناسبة، بحيث يتمكن المتحاورون من الوصول إلى الحق.

٥. الغرض الأكبر من الحوار في الإسلام هو دعوة الآخرين وإرشادهم إلى الصواب، بحيث يقتنعون بمنطق الإسلام ويعتقدون بصوابه من خلال الحوار الهادئ، الذي يفتح القلوب ويوصل العقول ويطمئن النفوس، كما جاء في قوله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿النحل: ١٢٥﴾.

٦. من أبرز نتائج الحوار في الإسلام تقليل الفجوة بين الأطراف المتحاوره وتوحيد وجهات النظر، مما يساعد على الوصول إلى حلول ترضي جميع الأطراف وتحويل التوتر إلى محبة وتآلف.

٧. الحوار الفعال يكشف الشبهات والأباطيل التي قد تلتصق بالأفكار والمعتقدات، مما يساعد في توضيح الحق وإبطال الباطل.

وأما أهمية الحوار بين الآباء والأبناء تكون أهميته في العديد من النقاط، ومن أهمها:

5 Maia Fernandez, "The importance of talking to our babies". www.famifi.com diakses 01/06/2022

١. الحوار مع الأبناء يُعد جزءاً أساسياً من التربية التي يحتاجها كل فرد ليشعر بالحب والأمان.

٢. من المهم تجنب إحداث شعور بالضيق لدى الأبناء عندما يواجهون صعوبة في فهم ما يدور حولهم.

٣. إذا لم يتم التحدث معهم، قد يعاني الطفل من مشاكل في التواصل الفعال أو يظهر عليه علامات الانعزال.

٤. الحوار هو وسيلة لتعريف الأبناء بالعالم من حولهم وتطوير مهاراتهم اللغوية.



ج. شرعية الحوار

لما أراد الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام حصل حوار عظيم بينه وبين الملكة الأبرار عليهم السلام وبقي هذا الحوار خالداً، يتلى إلى قيام الساعة. حيث قال الله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣١ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣ ﴿البقرة: ٣٠-٣٣﴾ .

والمحاورة هي سنة الأنبياء عليهم السلام وعلى نبينا صلوات الله وسلامه مع أقوامهم .
 فقد وهب الله نوحا عليه الصلاة والسلام جلدا وصبرا في جداله مع الكافرين لإقناعهم بالحق ،
 ولبث فيهم زمنا طويلا يجادلهم بشتى الصور والوسائل بهمة العالية وعزيمة الصادقة ونفسه
 الطويل . قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ه فَلَمْ يَزِدْهُمْ
 دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ
 وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ٨
 ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا
 ١٠ ﴾ (نوح: ٥-١٠) .

وبسبب هذه الجدية الحارة والجلد العظيم والحرص الكبير على تبليغ أمر الله عز وجل
 الذي لا يعرف الضعف أو الكلال تبرم به قومه وملوا منه قال الله عز وجل: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ
 قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣٣ ﴾ (هود:
 ٣٢) .

ووهب الله عز وجل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قوة الحججة وتقديم الدليل
 والقدرة على الإقناع الكامل قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى
 قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٨٣) .
 اكتفى بذكر مثالين فقط في محاجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام قومه:

المثال الأول محاجته مع الملك الكافر قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ
 إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ
 أَنَا أَحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ
 الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

المثال الثاني محاجته قومه قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ
 وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ٥٢
 قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٥٤
 قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٥٦ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ
 أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُدَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
 يَرْجِعُونَ ٥٨ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ٥٩ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى
 يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ٦٠ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١
 قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ
 إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نَكَسُوا
 عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا
 لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ٦٦ أَلَيْسَ لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ٦٧
 قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ٦٨ ﴾ (الأنبياء: ٥١-٦٨).

د . خصائص الحوار القرآني

الخصائص للحوار القرآني هي دراسة سمات الكلام وأسراره من حذف وتقديم وتأخير وتعريف وتنكير وقصر وتمن وغيرها من الخصائص.^٦ والحوار القرآني بوصفه تركيباً لغوياً فيه أسرار لا يدركها إلا الخبير الحاذق المتعمق بأساليب الكلام، ومعرفة هذه الأسرار تحتاج من المتلقي أن يستحضر فكره ويهيئ حواسه ويتأمل في سياق الكلام وقرائن أحواله ليتسنى له الإحاطة بالمعنى.^٧

والحوار في القرآن الكريم يسير في اتجاهين:

الأول: طريقة العنف والقسوة كما حوار ابني آدم - عليه السلام - الذي انتهى بالقتل، فهذا الحوار حاد ومكثف ونهايته لم تكن إيجابية.

والثاني: يتراوح بين اللين والشدة والموعظة الحسنة، كما في حوار الله تعالى مع أنبيائه ورسله، وحوار الأنبياء والرسول مع أقوامهم وحوار المؤمن مع الكافر.

١. الحذف

وصفه ابن جني (٣٩٢ هـ)، بأنه باب شجاعة العربية^٨، لأن وراءه أسراراً لا يدركها إلا المتعمق بأساليب الكلام البصير بطريق القول، وإدراك هذه الأسرار يتطلب من السامع أذناً واعية وعقلاً حاضراً ونظراً ثاقباً.^٩

٦ ينظر: الخصائص لابن جني ٢ / ٣٦٢ - ٣٨٤ وينظر: من بلاغة النظم القرآني: د. بسيوني عبد الفتاح: ٣١-٢٣٣.

٧ ينظر: من بلاغة النظم القرآني: ١٠٧-١٨٦.

٨ ينظر: الخصائص: ٢ / ٣٦٢.

٩ ينظر: من بلاغة النظم القرآني: ١٠٧.

فالمتكلم أحيانا يطوي جزءاً من كلامه من دون أن يحتل المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي، بل يزداد حسناً ورواقاً، قال عنه الشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ): (إنه طريق دقيق وحساس وعجيب يشبه السحر، حيث يمكن أن يكون تجنب الكلام أبلغ من الكلام نفسه، والصمت قد يحمل إفادة أكبر. قد تجد نفسك أكثر بلاغة عندما لا تتكلم، وأكثر إقناعاً عندما لا تفصح).^{١٠}

وقد شغل الحذف في الحوار القرآني مساحة واسعة وهذا يرجع إلى طبيعة الموضوع المتحاور فيه وما تحمله الشخصيات من أفكار ومشاعر وأحاسيس. وقد ورد الحذف في الحوار القرآني على أنماط عدة منها، حذف الحرف والكلمة والجمل، ففي الحوار الثلاثي الذي دار بين عزيز مصر وامرأته، ويوسف قال تعالى: فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (يوسف: ٢٨-٢٩).

يوجد أن حرف النداء قد طوي من التركيب ولهذا الطي أسرار، منها تقريب يوسف عليه السلام وملاطفته، ومن وراء هذه الملاطفة ما رب يشعر به الحذف وهو أن ما حدث يجب أن يضم في السرائر فلا يجري على اللسان، وينبئ الحذف أيضاً بحال العزيز ويصور الآمه وضيق صدره عندما وقف على حقيقة الأمر، وثبت له بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن امرأته هي التي أرادت السوء بيوسف - عليه السلام - ولذا أجمل الحدث وأشار إليه

١٠ دلائل الإعجاز : ١٧٧.

بكلمة واحدة (هذا) رغبة في إخفائه وأملا في كتمانهِ وعدم إشاعته، وفضلا عن ذلك فإن الموقف لا يتحمل إيعازا قويا لأن العزيز يريد احتواء الموقف أو الحدث بعيدا عن إسماع الموجودين في القصر ولكن إني له ذلك؟ فإن سرعان ما انتشر هذا الحدث بين نسوة المدينة.^{١١} فهو بإمكانه متابعة أحداث الحوار بوعي وباستطاعته الوقوف على مواطن العبرة فيه إذ ما علم أن الهدف الأساسي للحوار القصصي في القرآن الكريم هو أخذ العبر والاعتاظ بها وعليه فالمتلقي جزء مهم في هذا الحوار لأنه يستطيع بذهنه الحاضر ونظره الثاقب أن يستجلي ما هو محذوف.

٢. التقديم والتأخير

التقديم والتأخير في اللغة العربية شكل من أشكال حريتها وميزة من ميزاتها، وهو جزء من أساليب العرب في كلامهم لما له من أهمية في دقة التعبير وجمال الأداء. وقد تحدث النحاة عن تأثير الترتيب في صورة الجملة ومعناها، قال عنه سيبويه: (ونقول لم يكن فيها أحد أفضل منك، ولم يكن أحد يضاهيك فيها. وليس هناك من هو أفضل منك إذا اخترت الإقامة فيها، بدلا من استخدام أسلوبك في قول فيه زيد قائم نقول ما كان فيه أحد خير منك)^{١٢}. ووصفه ابن جني بأنه باب شجاعة العربية.^{١٣}

١١ الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي: ١١ / ١٢٢ ومن بلاغة النظم القرآني: ١١٣.

١٢ الكاتب: ١ / ٥٥ - ٦٦.

١٣ الخصائص: ٢ / ٣٦٢.

إن الخروج عن المألوف الطبيعي للتركيب هو سر من أسرار التعبير يهدف إلى سر بلاغي وهذا من شأنه لكي يضيف للكلام جمالا وتأثيرا، فهو وسيلة لنقل المعاني من ألفاظها إلى المستمع بشكل مطابق لترتيبها في ذهن المتكلم حسب أهميتها لديه.^{١٤}

وإذا نظرنا إلى بلاغة التقديم والتأخير فنراه يقسم على قسمين أحدهما يكون التقديم فيه الأبلغ والآخر يكون التأخير فيه الأبلغ،^{١٥} فليس من الضروري أن يكون كل تقديم بليغا فيمكن أن نجد المسند لو تأخر كان أبلغ مما لو قدم، وبالعكس فإن الجملة العربية طبيعتها التركيبية تتميز بعدم حتميتها في ترتيب أجزائها، لكن مع ذلك يعد خروجها على الترتيب أو التاليف النسقي ويطلق عليه نوعا من الانتهاك لمن هو لمن هو معناد أو يتعد نسبيا عن القاعدة التي تحدد المعنى عبر موضع الكلمة في الجملة، حيث غالبا ما يكون المعنى مرتبطا بالعلاقة بين الكلمات. تكمن الأهمية في موقع الكلمة وتحريكها أفقيا إلى الأمام أو الخلف، مما يسهم في نقل اللغة من طابعها الوظيفي إلى طابعها الإبداعي.^{١٦} ويشكل الجانب النفسي حيزا واسعا في قضية التقديم والتأخير فيعطي بعدا دلاليا واضحا في نفس السامع لأمر كانت نفسه تشوق إلى معرفته فإذا ما ألقى إليه مقدا اطمئن وارتاح.^{١٧}

١٤ صفاء الكلمة عبد الفتاح لاشين : ١٩٤ .

١٥ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير: ٢ / ٢١٧ .

١٦ اللغة فن دريس : ١٩٤ - ١٩٥ .

١٧ دلالات الحوار في سورة المائدة، د. سمير داود سلمان، بحث منشورة في مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية، المجلد الثامن - العدد ٣ / ص ٣٨ .

لنلق نظرة على الحوار الذي جرى بين مؤمن آل فرعون وقومه، كما ورد في كلام ذلك الرجل المؤمن في القرآن ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (غافر: ٢٨).

وصف الرجل في هذا المشهد من الحوار بثلاث صفات، أولها الإيمان وثانيها كتمان هذا الإيمان وثالثها لأنه ينتمي إلى آل فرعون، وقدمت عبارة "آل فرعون" قبل "يكنم إيمانه" لأنه إذا جاءت متأخرة وقيل "يكنم إيمانه من آل فرعون"، لأوهم ذلك بأن الفعل "يكنم" متعلق بـ"آل فرعون"، مما يشير إلى أن الرجل يخفي إيمانه خوفا منهم. وأنه ليس منهم وهذا خلاف المراد لأن السر من وراء هذا التقديم هي بين هذا النص عناية الله تعالى ورعايته وحفظه لموسى عليه السلام، وفضله عليه يجعل أحد أفراد آل فرعون يدافع عنه، يجادلهم ويناقشهم من أجله، ويذكرهم بما حل بالأقوام السابقة مثل قوم نوح وعاد وثمود ويحذرهم من العذاب الذي يصيبهم يوم القيامة وهذا الرجل هو أول من آمن برسالة موسى عليه السلام.^{١٨}

٣. التعريف والتكبير

التعريف ضد التكبير وهو أسلوب لغوي وبلاغي يستعمل في التركيب تحقيقا لأسرار لغوية وأسلوبية، ويأتي على صور مختلفة فكل صور من هذه الصور لها أسرار قد تختلف عن الصورة الأخرى وهذا يرجع إلى أن (لكل أداة من أدوات التعريف نكهة ومذاق مختلفان عن الأخرى، حيث يتم تحديد هذا الاختلاف بناءً على ثقل الكلمة وموقعها وقيمتها وتأثيرها

١٨ من بلاغة النظم القرآني : ٨١.

المختلف على المثلقي. فالضمير يختلف عن الاسم الموصول، وكلاهما يختلف عن التعريف بأل^{١٩} والمعارف في اللغة العربية على ستة أقسام هي الضمير واسم الإشارة والعلم والمعرف بأل^{٢٠} والاسم الموصول والمعرف بالإضافة.^{٢٠}

أما التنكير فقد تحدث النحاة فيه في سياق كلامهم عن النكرة والمعرفة، فهم يرون أن النكرة ما يقبل أل وتؤثر فيه نحو عباس العباس لأنه معرفة قبل دخول (أل) عليه.^{٢١} ويعرف التنكير أيضا بأنه هو أسلوب من أساليب العرب في كلامهم، ولا يتطلب أداة سوى خلو اللفظ من أدوات التعريف. الأصل في الكلمة هو التنكير لأنها تكون مطلقة، بينما يأتي التعريف لتقيدها وتحديد نوعها من خلال أحد أوجه التعريف.^{٢٢} إن وراء كل من التعريف والتنكير أسراراً بلاغية ولغوية تتجلى لمن أمعن النظر في سياق الكلام ووقف على مواقع أجزائه لأن للمعرفة أسرارها قد لا تكون للنكرة وكذلك بالنسبة للنكرة، ويمكن استجلاء هذه الأسرار من خلال النظر في التركيب وتأمل سياقاته المختلفة.^{٢٣}

ومن الشواهد هو الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وآزر قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ * يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ

١٩ بلاغة الكلمة والجملة والجميل: ٥٨.

٢٠ شرح ابن بيا: ١ / ٨٧-٨٨.

٢١ المصدر نفسه: ١ / ٨٦.

٢٢ بلاغة الكلمة والجملة والجميل: ٥٨.

٢٣ من بلاغة النظم القرآني: ٣٣.

أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٤-٤٥﴾ . يرى بعض الدارسين أن تنكير (عَذَابٌ) في هذا الحوار للدلالة مع أن العذاب عظيم للغاية ويصعب وصفه بشكل كامل، فإن هذا لا يتعارض مع ذكر المس (كما في "أَنْ يَمَسَّكَ")، لأن عذاب الرحمن أشد وغضبه أعظم.^{٢٤}

يرى الزمخشري (٣٥٨ هـ) أن تنكيرها لغرض التقليل إذ الكلام لم يخل من حسن الأدب، لم يصرح بأنه سيتعرض للعذاب أو المصيبة، بل عبّر عن خوفه منه (قائلاً: "إِنِّي أَخَافُ")، وأشار إلى أن المس قد حدث بالفعل، ثم ذكر العذاب وذكر الرحمن. في هذا السياق، يُستخدم التنكير للتقليل والتحقير وليس للتعظيم والتهويل، كما أشار البلاغيون.^{٢٥} ويبدو أن لفظة (عَذَابٌ) في هذا الحوار استعملت لغرض التحذير، لأن المراد من هذه اللفظة، الخذلان أو ما في معناه كإمساك الرحمة وترك الإنسان ونفسه، لأن الذي يتخذ الشيطان ولياً لا يلقى إلا الخذلان والترك واللعن، وبهذا يكون لاحقاً للشيطان الذي لعنه الله تعالى بسبب معصيته له فإبراهيم عليه السلام أراد أن يجذر عمه آزر من اتخاذ الشيطان ولياً له.^{٢٦}

٤ . القصر

إنها وسيلة لتأكيد المعنى وتثبيته، وقد عرّف البلاغيون القصر بأنه تخصيص شيء بشيء آخر بطريقة معينة. فالجملة التي تدل على القصر تعني الإثبات والنفي معا، إذ تثبت

٢٤ من بلاغة النظم القرآني : ٤٧.

٢٥ الكشاف : ٣ / ٢١.

٢٦ الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٤٨.

شيئاً وتنفية عن غيره. غالباً ما يكون الإثبات واضحاً ومصرحاً به، بينما النفي يكون ضمناً.

إن لكل طريقة من طرق القصر أسرارها الخاصة، وهذه الأسرار لا تُدرك إلا إذا استحضرت المتلقي ذهنه، واستخدم حواسه، وتأمل بوعي ليفهم السياق الذي ورد فيه القصر. فلننظر إلى الحوار الذي دار بين الرسل والكفرة قال تعالى ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠-١١﴾ (إبراهيم : ١٠-١١)

في هذا الحوار قصران، الأول (إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) والثاني (إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) وقد أوتر التعبير بالنفي والاستثناء للدلالة على القصر في الموضعين مع أن المعنى واضح وليس منكراً، فالرسل يعلمون أنهم بشر غير منكرين ذلك ولا يدفعونه، وكذلك الكفار يعلمون بشرية الرسل وقد أنكروا رسالتهم وجحدوها من أجل ذلك، وهذا الأمر يرجع إلى اعتقاد الكفرة الفاسد، إذ اعتقدوا أن الرسول لا يكون بشراً وإن أولئك الرسل بادعائهم الرسالة وهم بشر قد أنكروا بشريتهم واعتقدوا أنهم رسل، فجاء القصر بالنفي والاستثناء،

من أجل هذا وهو قصر قلب، حيث قلب ما اعتقده الرسل فقد اعتقدوا أنهم رسل والرسالة لا تجتمع والبشرية في زعم الكفرة، ولهذا جاء القصر قلبا لاعتقاد الرسل ودالا على قصرهم على البشرية لا يتجاوزونها إلى الرسالة التي اعتقدوها .

أما المقطع الثاني من الحوار وهو قول الرسل لهم (إِنَّ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) فهو من باب مجارة الخصم لاستماتته وإلزامه الحجة عندما يتهم الخصم خصمه في مسألة لا خلاف فيها، غالبا ما يعيد الخصم كلامه بطريقة تؤكد ما قاله دون أن يكون ملزما . وبذلك، كأن الرسل عليهم السلام قالوا: "نحن نقر بما قلتم ونوافق عليه، لأننا بشر مثلكم، لكن ذلك لا يمنع أن الله قد فضل علينا بالرسالة".

فإن الله يكرم من يشاء من عباده، والرسل باستخدام عبارة "إِنَّ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" أرادوا أن يُطمئنوا الكفار ويجذبوا نفوسهم نحو الهدى . لكن هذا لا يعني أن البشرية تعارض مع كون الإنسان مؤهلا للرسالة، فليس هناك تعارض بين كونه بشريا وبين كونه نبيا . فالرسالة لا تتطلب التساوي في جميع الكمالات البشرية؛ فبعض البشر يملكون كمالات شكلية ومعنوية تختلف عن الآخرين، ومن الممكن أن يمنح الله الوحي والرسالة لبعض عباده دون غيرهم.^{٢٧}

٢٧ تفسير الفخر الرازي : ١٠ / ١٠٣، والميزان في تفسير القرآن : ١٢ / ٢٥، ومن بلاغة النظم القرآني: ١٩٧-١٩٨.

٥. الاستفهام

هو البحث عن معرفة موضوع لم يكن معروفا من قبل، وهذا هو المعنى الذي يستعمل فيه الاستفهام على حقيقته.^{٢٨} فهو في حقيقته لطلب الاستخبار والاسترشاد،^{٢٩} وقد يخرج عن الاستخبار إلى غرض آخر يتناسب مع متطلبات السياق. في بعض الأحيان، يطرح أحد الأطراف سؤالاً ليس بهدف فهم شيء معين، بل لتحقيق غرض آخر يتضح من خلال السياق. على سبيل المثال، الحوار الذي جرى بين لوط عليه السلام وقومه، قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٨٠).

من هذا الاستفهام، الإنكار والتفريع والتوبيخ على تلك الفعل المتماذية في القبح وهي اللواط فهو وبخهم أولاً بإتيانهم الفاحشة. وثانياً بابتداعها وهذا يشير إلى أنهم كانوا أول من قام بهذا الفعل القبيح وأول من ابتكرها^{٣٠} ولكون عملهم فاحشة مبتدعة لم يسبقهم أحد من العالمين خاطبهم بصيغة التوبيخ إلا أنه اتبع التوبيخ بما يفيد الحرص على انسجامهم مع سلوك العالمين.^{٣١}

٢٨ علم المعاني دراسة بلاغية نقدية : ٣٠٥.

٢٩ الصاحبي في فقه اللغة ولسان العرب في كلامها، ابن فارس : ١٨١.

٣٠ البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي : ٥ / ٩٩، وروح البيان : ٣ / ٢٣٧.

٣١ الخطاب القرآني: ١٢١.

ومن الأسرار التي يكشف عنها الاستفهام في هذا الحوار هو تعجب لوط عليه السلام واستغرابه من هذا الفعل.^{٣٢} وترك الحديث عن حوار لوط عليه السلام مع قومه لتناول حوار شعيب عليه السلام وقومه، وقال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ... * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود: ٨٧).

نجد أن شعيبا عليه السلام لما أمرهم بعبادة الله تعالى وتوحيده وترك عبادة الأوثان وإيفاء الكيل والميزان فردوا عليه بطريقة ساهرة والتهكم بقولهم (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ؟) وكان شعيب كثير الصلاة، وعندما كان يصلي، كانوا يتغامزون ويتضحكون، فهؤلاء ساقوا هذا الاستفهام في حوارهم لغرض السخرية والاستهزاء والاستخفاف بدعوته إياهم إلى عبادة الله تعالى وترك ما يعبد آباؤهم.^{٣٣} فحولوا الصلاة إلى موضوع للسخرية، تهكماً على صلاته.^{٣٤}

٦. الأمر والنهي

الأمر هو طلب تنفيذ الفعل^{٣٥} أو قول الشخص لمن هو أدنى منه "افعل"^{٣٦} وهو حصول الفعل على جهة الاستعلاء^{٣٧} وأما النهي هو طلب التوقف عن الفعل بأسلوب من الأعلى إلى الأسفل، حيث يأتي من جهة عليا إلى جهة أدنى، ويكون بصيغة واحدة وهي المضارع المقرون

٣٢ الميزان في تفسير القرآن: ١٥٤/٨.

٣٣ الكشاف، للزمخشري: ٢ / ٤٩٥، والبحر المحيط: ١٨٧/٦.

٣٤ البحر المحيط: ١٩٧/٦.

٣٥ المرجل لابن الحنشاب: ٢١٥.

٣٦ التعريفات، للشريف الجرجاني: ٢٨.

٣٧ علم المعاني دراسة بلاغية قديمة: ٢٨٦.

بـ "لا" الناهية.^{٣٨} وقد استعملا في الحوار تحقيقا لأسرار بلاغية وأسلوبية تفهم من خلال السياق وقرائن أحواله.

لننظر إلى الحوار الذي دار بين شعيب عليه السلام وقومه قال تعالى ﴿...قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٨٥)

يمثل أسلوب الأمر والنهي في حوار شعيب إيعازا منه إلى قومه لتغيير سلوكهم الاجتماعي نحو سلوك ينسجم مع إيمان شعيب، ولهذا الطلب وظيفة إفهامية وإقناعية وهو الابتعاد عن الفساد فكريا وسلوكيا واعتقادا، والملاحظ الأسلوب في هذا الطلب هو هيمنة صيغ الأمر والنهي ما يجعل الإرشاد والوعظ إيعازا في غاية الأهمية كذلك أن الأمر والنهي وردا في سياق إيعازي اكتنفه اللفظ الذي منحه النداء.  UNIVERSITAS ISLAM SUNAN GUNUNG DJATI BANDUNG

وهذا يعني إن الطلب الذي ساقه شعيب في هذا الحوار يراد منه التلطف في ذلك حتى تكون لهذه الأوامر أذان صاغية وقلب لبيب وإذا أمعنا النظر في هذا الحوار نجد أن هناك علاقة وثيقة بين عبادة الله وإيفاء الكيل والميزان، فهناك إقرار واضح بالعبودية وأن تكون هذه العبودية لله لا لغيره، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى تحرير الإنسان من عبودية الأهواء

٣٨ المصدر نفسه : ٢٩٩.

والأطماع فالعبادة تجعل الإنسان يعرف قيمته الإنسانية وهذه القيمة لا تتحقق وهو عبد للحاجات الموهومة التي تؤسس الطمع والطموحات الشخصية.

وعليه يمكن القول أن السر من وراء استعمال الأمر والنهي في هذا الحوار هو تحرير قومه من العبودية للحاجات لأنها سبب المفاصد في الأرض، ولا يمكن القضاء عليها من خلال النصيح والإرشاد دون تشكيل قناعات واضحة له، ولا يمكن للإنسان أن يحرر نفسه من الأطماع ما لم يعرف أن الله هو خالق كل شيء ما من إله غيره، فإذا عرف ذلك سوف يكون سيد نفسه وما عليه إلا أن يمارس إنسانيته بالاستقامة في البيع والشراء وسائر المعاملات.^{٣٩}

٧. النداء

هو تنبيه المخاطب ليقبل عليك والتصويت بالمنادى ليعطف على المنادي^{٤٠} وفي الاصطلاح البلاغي هو: طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة^{٤١} وتنبيه المنادى لا يكون مقصودا لذاته في الكلام وإنما المقصود الخبر الذي يتبع النداء، وللنداء أدوات أبرزها الهمزة وتستعمل لنداء القريب وبمنزلة القريب، وتستعمل لتنبيه المصغي القريب إليه الذي لا يحتاج إلى مد الصوت في ندائه^{٤٢} و (يا) وتستعمل لنداء البعيد كونها تتمتع باستطالة صوتية متأتية من حروف المد، والنداء فيها أما حقيقة أو حكما، كالإنسان الساهي والنائم

٣٩ الخطاب القرآني، د. سعيد كوني: ١٠٦ - ١٣٢.

٤٠ ينظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ١ / ٤٠١، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٢١٧.

٤١ عروس الإفراج شرح التلخيص: ٢ / ٣٣٣.

٤٢ ينظر: الكتاب: ٢ / ٢٩٩ - ٢٣٠ وأساليب الطلب: ١١٨.

والغافل وغيرها . و(أي)، يرى سيبويه أنها لنداء البعيد والمتوسط والقريب^{٤٣} ويرى آخرون أنها للقريب^{٤٤} .

ورد النداء في الحوار القرآني في مواضع عدة، منها الحوار الذي جاء على لسان أحد ابني آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ^{٤٥} قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي^{٤٦} فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (سورة المائدة: ٣١) هذا حوار داخلي ورد على لسان أحد ابني آدم الذي قتل أخاه، فلشدة الموقف صار القاتل ينادي هلاكه وموته بقوله (يا وَيْلَتَا) فهذا النداء هو نداء الندم والتحسر، والندم هو تأثير روحي خاص يحدث للإنسان، ويكون أماً داخلياً ناتجاً عن إدراكه لإهماله في بعض الأسباب التي أدت إلى فقدان منفعة أو حدوث ضرر^{٤٥} .

فالشخص ينادي هلاكه وموته، والويل الذي يناديه هو بسبب تحسره وجزعه جعلته هذه الأسباب ينادي بهلاك نفسه ويطلب حضوره بعد أن نزل إلى مستوى من ينادي، ولا يكون طلب الموت إلا من شخص في حالة أسوأ، فلشدة الموقف وعظمه عند المتكلم عدل في ندائه من يا ويلتي إلى يا ويلتَا، فالاستطالة الصوتية في (يا وَيْلَتَا) أدت دوراً أسلوبياً فكشفت عن انفعالات نفسية كان يعاني منها فكانت له متنفساً لتلك الأحزان، وفضلاً عن ذلك

٤٣ ينظر: الكتاب : ٢ / ٢٩٩ - ٢٣٠، والكشاف: ١ / ٢٤٨ .

٤٤ ينظر : المصدر نفسه، وأساليب الطلب : ١٨٨ .

٤٥ ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٥ / ٢٦٢ .

فالشخص المتحاور تعجب من عدم قدرته على أن يكون مثله، رغم أنه لم يصل إلى ما وصل إليه، مع أنه يعتبر نفسه أشرف منه.^{٤٦}

٨. التمني

هو طلب الأمر المحبوب الذي ترغب فيه النفس وتميل إليه لكنه لا مطمع في حصوله لكونه محالاً أو بعيد المنال. وبعد المنال أمر يرجع إلى شعور النفس وإحساساتها فيما يتعلق بالشيء المطلوب، قد لا يكون هذا الشيء بعيداً من حيث الواقع أو العرف أو العقل، لكن النفس قد تشعر بأنه بعيد. بل أن شعور النفس وإحساسها بعد الشيء يختلف من شخص لآخر تبعاً للموقف الذي فيه فما يراه شخص بعيداً قد يراه آخر قريب المنال.

والأداة المستعملة في هذا الأسلوب (ليت)، وأحياناً تستعمل بعض الأدوات مثل: لعل ولو وهل وأين.^{٤٧} (١٠٢) هناك بعض المشاهد التي ورد فيها التمني بـ ليت مثل حوار مريم عليها السلام مع نفسها وحوار الكفرة والظالم مع نفسيهما وهو حوار داخلي يفصح من خلاله المتحاور عما يدور في نفسه من مشاعر وأحاسيس فمريم عليها السلام عندما جاءها المخاض إلى جذع النخلة: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا﴾ (سورة مريم: ٢٣).

حوار الكفرة مع أنفسهم قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٢٧).

٤٦ ينظر: روح المعاني، للكلوسي: ٣-٤ / ٢٨٧-٢٨٦.

٤٧ ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية نقدية: ٣٩٩.

وحوار الظالم مع نفسه قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (سورة الفرقان : ٢٧-٢٨) .

فمریم علیها السلام كانت تتمنى أن تكون ماتت قبل هذا الموقف الذي حصل لها، والكفار عندما وقفوا على النار وشاهدوا العذاب تمنوا الرجوع إلى الدنيا ليستقيموا ويؤمنوا، والظالم يعض على يديه ندمًا وحسرة، ويتمنى لو كان قد اتبع سبيل الرسول وابتعد عن رفقاء السوء الذين أضلوه في الحياة الدنيا وتلك الأمنيات التي تطلبها مریم علیها السلام والكافر والظالم محالة لا مطمع في حصولها .

وإذا أتعنا النظر في هذا الحوار نجد أن أداة النداء سبقت أداة التمني نحو: يا ليتني يا ويلتي يا ليتني فالتكلم ينادي نفسه من خلال هذه الأداة التي تشكل إيعازًا قويًا لا يقاظ مشاعره وأحاسيسه فهي تنبئ بالأسى وتشعر بالحزن والألم والندم والتحسر، فالكافر والظالم يخرجان ما بداخلهما من الآم وأحزان، ويجدان في امتداد النطق بهذا الحرف متنفسًا عما يدور في داخلهما من انفعالات نفسية، وكذا القول لمریم علیها السلام فهي في حيرة وآسى، وهذا يثير تساؤلًا في داخلها وهو كيفية مواجهة قومها وإقناعهم بما حصل لها بعد ولادة عيسى عليه السلام، يمتد النطق بحرف النداء (يا) في قولها (يا ليتني) أصبح مفرجًا عن الأحزان التي

فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَءَ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٥﴾ (سورة الذاريات :
٢٥-٢٩).

الصك ضرب الشيء بالشيء شديداً، أو ضرب الشيء بالشيء العريض^{٥٢} وإذا أنعمنا النظر في هذا الحوار نجد أن هناك علاقة قوية بين المقال، أي قول سارة عجوز عقيم والحركة الجسمية المصاحبة له، فصك الوجه أي أنها رفعت يديها وضربت جبينها تعبيراً عن دهشتها لما سمعته، وهناك من قال إنها لطمت وجهها تعبيراً عن تعجبها مما سمعته.^{٥٣} فالحركة الجسمية أضفت على المقال تأكيداً وتعجباً واستبعاداً وهذا التعجب والاستبعاد ليس في أصل القدرة الإلهية في فعل هذا الشيء، وإنما بحسب العرف والعادة، فالمرأة قد مسها الكبر، وبعلمها شيخ كبير، فهذا الذي أثار تعجبها واستغرابها^{٥٤} فالبشارة في هذا الحوار كانت هي عنصر المفاجئة بالنسبة لامرأة إبراهيم عليه السلام لأنها جاءت في وقت لم تكن تتوقعها، وفي عرف النساء أن المرأة إذا سمعت مثل هكذا خبر لطمت وجهها لتعبر عن تعجبها واستبعادها، فسياق الحال هو الذي اقتضى أن تكون هناك حركة جسمية تناسب مقتضى الحال.

هـ. أنواع الحوار القرآني وأساليبه

توجد أنواع كثيرة في الحوار القرآني وهي:

١. الحوار الأسري

٥٢ كتاب العين: ٥ / ٢٧١، ولسان العرب: ٧ / ٣٧٨ .

٥٣ ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن، للطبرسي: ٩ / ٢٩١ .

٥٤ ينظر: تفسير الفخر الرازي: ١٤ / ٢١٦ .

وهذا يعتبر الباحث أهم أنواع الحوار، ذلك لأن سيادة جو الحوار بين الأسرة في شؤونها العامة والخاصة إنما يؤسس الذهنية في المجتمع تتقبل الحوار، مما يؤدي إلى نشر ثقافة الحوار في المجتمع، وبناء الشخصية السوية لأفراده، خاصة وإن القرآن ثبت قيما عظيمة لثبات الأسرة.^{٥٥}

ذكر بعض الآيات التي تضمنت الحوار في الأسرة:

قال تعالى: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (المجادلة: ١).

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: "قد سمع"، يا محمد، "قول التي تجادلك في زوجها". كانت هذه المرأة من الأنصار، وقد اختلف العلماء في اسمها ونسبها، فقال البعض إنها خولة بنت ثعلبة. وتضيف الآية: "وتشتكي إلى الله" أي أن المرأة التي تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو إلى الله همومها بسبب ظهار زوجها منها، وتطلب منه الفرج. و"والله يسمع تحاوركما" تعني أن الله يسمع المحادثة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المرأة، ويشير إلى أنه "سميع بصير"، بمعنى أن الله يسمع كل ما يقولونه ويرونه، ويعلم كل ما يفعلون.^{٥٦}

٥٥ المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور ١٤ قرنا على نزوله، جامعة إفريقيا العالمية المركز الإسلامي الإفريقي،

الكتاب الثالث، مجرم ١٤٣٣ / نوفمبر ٢٠١١ الخرطوم، السودان، ص ١٣٣.

٥٦ جامع البيان عن تأويل القرآن، القطربي، ص ٤٤٦ - ٤٥٦.

قال الله تعالى: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي
عَنكَ شَيْئًا (مريم: ٤٢).

من تمسك إبراهيم بدعوة أقرب الناس إليه تتعلم أهمية نصيح الآباء والأمهات، لأنهم
قدموا كل ما لديهم من أجل راحة أبنائهم. فكيف للأبناء أن يقصروا في دعواتهم إلى الدين
الذي سيحقق لهم الراحة في الدنيا والآخرة؟ على الإنسان أن يتبع سنة نبي الله إبراهيم عليه
السلام في التلطف واللين مع والديه، وأن لا يتكبر عليهما مهما بلغ من العلم والمنصب، فلولاهما
بعد الله لما وُجد ولا تعلم.^{٥٧}

علم إبراهيم أن أهل الجهالة يتشددون في تمسكهم بآرائهم، خاصة الآباء تجاه أبنائهم،
مهما كانت حالة الأبناء في الحذف. فتوجه إلى أبيه بخطاب يظهر فيه الاحترام والإخلاص في
نصيحته، حيث قدم له حجة فساد عبادته بأسلوب الاستفهام عن سبب عبادته الخاطئة.
وقد أعده للتفكير في خطئه، فلو استمع لتلك الحجة وحاول توضيح سبب عبادته لأصنامهم،
لما وجد مبرراً قوياً، وبالتالي سيتنبه إلى خطأ رأيه وسفه تصرفه. ولو كان يعبد كائنًا حيًا
مميزًا لكانت لديه شبهة للدفاع عن عبادة أصنامهم.

يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنكَ شَيْئًا (مريم: ٤٢) أَيْ
لا ينفَعُ ولا يدفع ضرراً. يَا أَبَتِ إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي
أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (مريم: ٤٣).

٥٧ آداب التعامل في ضوء القصص القرآني، منار عمر درويش الحلو، محمود هاشم محمد عنبر، رسالة كمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلم

القرآن، كلية أصول الدين، جامعة الإسلامية غزة، (٢٠١١م) ص. ٩١.

يقول: "إذا كنت ترى أنني أصغر منك لأنني ابنك، فاعلم أن الله قد منحني من العلم ما لم تكن تعرفه أنت، ولم يطلعك عليه" ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أي طريق واضح ومباشر يؤدي إلى الهدف ويجنبك المخاطر: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ (مريم: ٤٤). أي لا تتبع أوامره في عبادة الأصنام، فهو من يدعو إلى ذلك ويوافق عليه.^{٥٨}

وبدا بالحجة التي تعود إلى الحسن إذ قال له: لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ (مريم: ٤٢). فذلك حجة محسوسة، ثم أضاف إليها بقوله ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ثم انتقل إلى معالجة مشاعر النفور التي يشعر بها والده تجاه تلقي النصائح من ابنه يقول ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ عندما أتم ما كان يجب عليه، انتقل إلى تنبيهه على أن ما يشعر به هو تأثير وسواس الشيطان. ثم قدم له حجة مناسبة للأشخاص المتمسكين بالضلال، بقوله: يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (مريم: ٤٥). أي أن الله قد أوصل إليك الوعيد من خلال كلامي، فإذا كنت غير متأكد من ذلك، فاعتبر أن الأمر سيحدث، لأن أصنامك لم تهددك بالابتعاد عنها.^{٥٩}

٥٨ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٥، ص ٢٣١.

٥٩ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج ١٦، ص ١١٤.

٢ . الحوار الدعوي

هو كل نوع من الخطاب أو النداء أو السؤال الذي يوجهه القرآن إلى عباد الله أو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيرهم من الناس، بهدف تحفيزهم على الاستجابة أو لفت انتباههم وتوجيه عقولهم وقلوبهم نحو مسألة مهمة. قد يكون ذلك لتبنيهم إلى سلوك غير لائق يقوم به المنحرفون ليجتنبه المؤمنون، أو لتذكيرهم بفضل الله ونعمه عليهم ليدعوه ويشكرونها، أو لإيقاظ عواطفهم ووجدانهم. ومن أشكاله: الحوار التعبدية، الذي يتضمن الأسئلة والأدعية أو الأوامر الواردة في القرآن، والتي ندعو من خلالها لعبادة الله بالإجابة عنها أو تكرارها كما هي، والحوار التذكيري، الذي يشمل الخطاب أو النداء الرباني الموجه لتذكير الناس. ٦٠ قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة سبأ: ٢٤).

عندما أشار إلى أن آلهتهم لا تملك قدر ذرة من القوة التي يمتلكها الرب، أكد ذلك قائلاً: قل يا محمد للمشركين (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) من هو الذي يعطيكم هذه النعم السماوية مثل المطر والشمس والقمر والنجوم، والفوائد التي تحملها؟ والأرض، أي ما يخرج منها مثل الماء والنبات، لا يمكنهم أن ينسبوا ذلك إلى آلهتهم. فإذا قالوا إنهم لا يعرفون، فقل إن الله هو الذي يفعل ذلك، وهو العليم بما في قلوبكم. وإن قالوا إن الله يرزقهم، فإن ذلك يثبت حجج عبادة الله وحده.

٦٠ عبد الرحمن النحلوي، التربية بالحوار، ص ٦٩-٩١.

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) هذا من حيث الإنصاف في النقاش، كما لو قال أحدنا: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب. والمقصود هنا أننا لسنا على رأي واحد بل على رأيين متعارضين؛ أحدنا على هدى، وهو نحن، والآخر على ضلال، وهم أتم. إذاً، قد رد عليهم بطريقة أفضل من مجرد التصريح بتكذيبهم، حيث يبين أنكم على ضلال لأنكم أشركتم بالذي يرزقكم من السماوات والأرض.^{٦١}

وتوجد أساليب الحوار في القرآن الكريم كما يلي:

١. الأسلوب الوصفي

هو حوار بين طرفين أو أكثر يهدف إلى التعبير عن الحالة النفسية لبعض المتحاورين أو نقل مشاعرهم إلى السامع أو القارئ. يهدف هذا الحوار إلى توجيه الناس لاقتراء بالصالحين والابتعاد عن سلوك الشريرين، الذي أدى بهم إلى الندم والعذاب النفسي والجسدي. يمكن أن يتخذ هذا الحوار ثلاثة أشكال:

(أ) حوار يجري بين أهل النار فيما بينهم، وقد يتضمن أيضا وجود طرف ثالث يوجه الأوامر أو يعلق على الحديث أو يستفسر من المتحاورين عن سبب مصيرهم.

(ب) حوار يجري بين أهل الجنة فيما بينهم.

(ج) حوار بين أهل الجنة وأهل النار، حيث يكون أصحاب الأعراف طرفا ثالثا محايدا، يعلق

على حديث أحد الطرفين لتوضيح الموقف بشكل أفضل.^{٦٢}

٦١ تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ١٩١.

٦٢ عبد الرحمن النحلوي، من أساليب التربية، التربية بالحوار، دار الفكر، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، سوريا، ص ٢٧.

ويذكر نموذج منها الشكل الثالث:

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ٤٤ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ٤٥ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ٤٦ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤٧﴾ (الأعراف: ٤٤-٤٧).

٢. الأسلوب الوصفي التصويري (القصص وضرب الأمثال)

يهدف هذا الأسلوب إلى تثبيت المفاهيم وتقريب المعاني بسرد القصص وضرب الأمثال هو أسلوب يقدم فيه القرآن مشاهد حوارية حقيقية تمت في الماضي، مثل الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون. قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٣ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٣٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ٣٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٣٦﴾ (الشعراء: ٢٣-٢٦).

٣. الأسلوب الحجاجي البرهاني

سمي هذا الحوار برهاني لأن مجموع الأسئلة والأجوبة يشكل برهانا منطقيًا، يلزم المخاطب (أو المخاطبين) بالاعتراف بالأمر الذي صيغ الحوار لإقناعهم به وهدايتهم إليه.^{٦٣} وهذا الأسلوب اعتمده القران ليرد على التكرين والجاحدين بالأدلة والحجج الثقيلة والنقدية لتقنيدهم وبيان انحراف عقائدهم، ومن ذلك:

أ) البرهنة على وحدانية الله

أي تقديم براهين قوية وأسئلة تفضح الأفكار الخاطئة التي كان الشخص يعتقد كجزء من الإسلام. قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۚ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^{٦٧} (الأنبياء: ٦٦-٦٧)

ب) البرهنة على البعث بالآيات الكونية

وهو دعوة للعقل البشري للتفكر والتأمل في ملكوت السماوات والأرض لإثبات عظمة الخالق وقدرته المطلقة، وإثبات للمنكرين للبعث أنهم غافلون عن ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (النمل: ٦٥).

٦٣ عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار من أساليب التربية الإسلامية، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان / دار الفكر دمشق سوريا، ط ١، ١٤٢١ هـ

و. القائمون بالحوار القرآني

ولأن الحوار محادثة بين طرفين أو أكثر فيحتاج إلى القائمين بالحوار. فالقائمون بالحوار

القرآني كما يلي:

١. حوار الله مع الملائكة وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ

نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٦٠﴾

أي الحوار الذي دار بين الله والملائكة بشأن خلق بني آدم، حيث أشار إلى أن من

خصائصهم الفساد في الأرض وسفك الدماء، وقد عرفت الملائكة ذلك من خلال

تصرفات الأمم السابقة.

٢. حوار الله مع الأنبياء، حيث جرى الحوار بين الله تعالى وبعض الأنبياء، ومنهم:

أ) حوار الله تعالى مع إبراهيم عليه السلام

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ

قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ

اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: ٣٠﴾ دليل على مشروعية الحوار، حيث جرى بين الله عز

وجل وسيدنا إبراهيم عليه السلام حول كيفية إحياء الموتى ليطمئن قلبه، وهو نوع من

الحوار الاستدلالي التوضيحي.

(ب) حوار الله تعالى مع موسى عليه السلام

في قوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾^{٤٢} اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى^{٤٣} فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى^{٤٤} قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى^{٤٥} قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى^{٤٦} ﴿ طه: ٤٣-٤٦ ﴾ . وهذا بين أن الحوار مطلوب ومحمود بين الأطراف، حتى وإن كانوا غير متساويين أو غير متكافئين، كما يتجلى في الحوار بين الذات الإلهية والمؤمنين والكفار، كما جاء في قوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً ﴾ (البقرة: ٥٥) وحواره سبحانه وتعالى مع موسى عليه السلام، عندما طلب منه بالراح أن يراه ليتعزز يقينه، ويستطيع أن يجادل قومه الذين قالوا له: كيف كان الحوار؟ هل ردّ الله عليه طلبه، أم حاوره ليملاً قلبه يقينا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٣) .

(ج) حوار الله مع محمد صلى الله عليه وسلم (حوار عقلي وتقاشي بأمور شرعية)
لقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١) . قد دار حوار الله

تعالى مع محمد صلى الله عليه وسلم حول المرأة التي تقدمت بشكوى ضد زوجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واستمع الله إلى هذا الحوار.

(د) حوار الله تعالى مع نوح عليه السلام (حوار الاستجارة)

في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ (هود: ٤٥-٤٧) الذي نادى ربه ليخلص ولده من الغرق، فحاوره الله سبحانه وتعالى ليظهر له الحق والصواب.

٣. حوار الله تعالى مع إبليس العاصي (حوار التوبيخ والاختلاف)

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي* أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ* قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ* قَالَ

فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقْوَلُ* لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ص﴾ (ص: ٧١-٨٥).

وحوار الله سبحانه وتعالى مع إبليس، الذي عصى الله وتمرد على أوامره، يدل على أن إظهار الحق وإحقاقه لا يتم بالقوة، بل من خلال الحوار العقلاني البناء مهما كان نوع الخلاف. وهذا يبرز أهمية الحوار في المنطق الإسلامي كوسيلة فعالة للوصول إلى الحقيقة، وللتعامل مع الصراعات الفكرية والسياسية والاجتماعية. فهو الطريقة المثلى للتعبير عن الأفكار، سواء بالرفض أو القبول، وللتفاعل مع أفكار الآخرين.

٤. حوار الله مع الناس: حاور الله البشرية في القرآن الكريم

ومن هذه الحوارات، ما يلي:

ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٨٥-٢٨٦﴾.

الحوار الذي دار بين الله تعالى والناس حول عدم محاسبتهم على الأخطاء والنسيان، وعدم تحميلهم ما يفوق طاقتهم، يُظهر مشروعية الحوار. الآيات تشير إلى أن الحوار مشروع، كما حوار الله وذرية آدم، حيث شهدهم على أنفسهم وأثبت لهم أنه هو الخالق.

ومن الأمثلة الأخرى الموجودة في القرآن الكريم هو الحوار الذي ورد في قصة أصحاب الجنين ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف: ١٨).

وكذا قصة قارون مع قومه ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦).

وقصة داود عليه السلام مع الخصمين ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (ص ٢١)، وقصة نوح عليه السلام مع قومه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ٥٩).

وقصة ابني آدم ﴿وَآتَى عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧).

وقصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف: ٦٥) .

والحوار بين السادة والأتباع يوم القيامة ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ (سبا: ٣١) .

وقصة موسى عليه السلام، وقد طلب من ربه أن يسمح له برؤيته ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٣) .

وكذا، في قصة عيسى عليه السلام، سأل الله عيسى إذا كان قد طلب من الناس أن يعبدوه وأمه كإلهين من دون الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة: ١١٦) .

ز. موضوعات الحوار القرآني

إن موضوع الحوار في القرآن الكريم يعد من القضايا الأساسية التي تركز بشكل رئيسي على الإيمان بالله ورسوله، مثل الحوار بين الله والمؤمنين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿النساء: ١٣٦﴾ .

وعلى وحدانيته وحقيقته بالعبادة من دون غيره، مثل الحوار بين الله وعباده: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿مريم: ٦٥﴾ . والإيمان بالبعث والجزاء، مثل الحوار بين الله وعباده: وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿الحج: ٧﴾ . تعد هذه العناصر الثلاثة من القضايا المهمة في القرآن الكريم، ولذا كانت محوراً للجدل والنقاش.^{٦٤}

ح. مبادئ الحوار القرآني

١. آداب الحوار^{٦٥}

أ) التمسك بالكلام الطيب وتجنب أسلوب التحدي والإفحام

^{٦٤} <https://www.awraqthaqafya.com/1815>

^{٦٥} صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وأدابه في الإسلام، (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع) ١٩٩٤، ص. ٢٥-٣٨.

من أبرز ما يجب أن يحرص عليه المحاور خلال حوارهِ هو الالتزام بالأسلوب الحسن في الحديث والمناقشة، كما هو مذكور في النصوص القرآنية: **وَلَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (الإسراء: ٥٣)** . **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (النحل: ١٢٥)** . **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا (البقرة: ٨٣)** . من الواجب على العاقل الحكيم الساعي للحق أن يتجنب أساليب الطعن والجرح والهزاء والسخرية، وأشكال الاحتقار والإثارة والاستفزاز.

ومن لطائف التوجيهات الإلهية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، الانصراف عن التعنيف في الرد على أهل الباطل حيث قال الله لنبيه: **وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (الحج: ٦٨)** . وقوله: **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (سبأ: ٢٤)** مع أن بطلانهم ظاهر وحجتهم داحضة.

ينبغي أن يتجنب الشخص، عند استخدام هذا المبدأ، استخدام أسلوب التحدي والتعسف في الحديث، وعدم السعي لإحراج الخصم حتى لو كانت حجته ودليله قويين. إذ يكون كسب القلوب أولوية على كسب المواقف، حيث قد يفهم الخصم ولكنه لا يُقنع، ويتم التسليم والإيمان بحجة الشخص ولكن دون أن يتسلم ويستسلم لها. فأسلوب التحدي يعيق هذا التسليم، حتى لو كانت القناعة العقلية موجودة. يجب أن يكون الحرص على كسب القلوب واستعمال اللين والسخاء أولوية عند الشخص الذي يسعى للعقلانية، بدلا من زيادة الأعداء والاستكفاء.

يدرك الشخص أن التهمك والرفع من الصوت والانفعالات الزائدة لا تولد إلا الغضب والحقد والنقمة. لذا، يجب على المحاور أن يتحلى بالحذر، وأن لا يرفع صوته بشكل زائد إذا لم يكن ذلك ضرورياً، حيث إن ذلك يُعد تصرفاً غير مدروس ويسبب إيذاء للنفس والآخرين. إن رفع الصوت لا يجعل الحجة أكثر قوة، بل يظهر عادةً عدم قوة الحجة وفقرها. فالشخص الذي يرفع صوته بشكل مفرط يكون غالباً عاجزاً في حجته ونقص في بضاعته، وبالتالي يستخدم الصراخ لإخفاء هذا الضعف والعجز. والهدوء في الصوت هو علامة على العقلانية، والتوازن، والفكر المنظم، والنقد الموضوعي، والثقة بالنفس.

إن الإنسان يجب أن يتناسب صوته مع الموقف ونوع الحوار، سواء كان استفهامياً أو تقريرياً أو إنكارياً أو تعجبياً، وذلك لتجنب الإيحاء بالملل والإحساس بالسامية، وتسهيل توصيل الأفكار وإعادة التنبية للمشاركين والمتابعين.

ومع ذلك، في بعض الحالات الاستثنائية، قد يكون من المبرر استخدام الإفحام وإسكات الطرف الآخر، خاصة إذا طال النقاش وتجاوز حدوده، وتسلط وظلم وتجاوز الحق، أو استمرار الكبرياء المفرط، وقد ذكرت الآية الكريمة تلك الحالات: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴿العنكبوت: ٤٦﴾. لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴿النساء: ١٤٨﴾.

في الأوقات التي تشهد الظلم والاعتداء والتجاوز، يمكن تبرير استخدام الانتقاد الشديد والتعرض المباشر للخصم، مع تقليل قيمة آرائه، نظرًا لأنه يمثل الظلم، ومن المناسب أن يظهر الحق للناس بأنه غالب ومكسور المنازل.

قبل الانتقال من هذه الجملة الأدبية، يجب التأكيد على ضرورة تجنب استخدام ضمير المتكلم في صيغة الفرد أو الجمع، مثل القول "فعلت وقلت" أو "في رأيي" أو "درسنا وفي تجربتنا". هذا الأسلوب يثقل على أنفس القراء، ويشير إلى الغرور بالنفس، ويمكن أن يؤثر سلبًا على الإخلاص وحسن النية. الناس قد تنزعج من الشخص المتكبر، وينبغي بدلاً من ذلك استخدام ضمير الغيبة، مثل القول "يدو للدارس" أو "تظهر تجارب العاملين"، أو استخدام ألفاظ مثل "يقول المختصون" و"وفي رأي أهل الشأن" وما شابه ذلك.

وأخيرًا، من أبرز جوانب الأدب واللباقة في التعبير وإدارة الحوار هو عدم الافتراض بأن الطرف الآخر يمتلك مستوى ذكاء أعلى من اللازم، بحيث يستخدم عبارات مبهمّة أو إشارات غير واضحة تجعله غير مفهوم. بالمثل، ينبغي عدم افتراض غباء أو سذاجة أو جهل مطلق من جانبه، مما يجعله يشرح بشكل زائد لأمر لا تحتاج إلى توضيح، أو يبسط لأمر لا تحتاج إلى بسط.

وبدون شك، هناك تباين في عقول الناس وفهمهم. فهناك من لديه عقل واسع وروح متسعة، وآخر لديه عقل محدود، وهناك من يميل إلى الحذر والتصيق، بينما يميل آخرون إلى التوسع في الفهم. هذه الاختلافات في العقلية والمدارك تؤثر بشكل كبير في فهم ما يتم

إيصاله . فالأشخاص ذوو العقول الحادة يمكنهم استيعاب النصوص بدقة وفهم معانيها وما يقصده المتحدث، بينما يعجز غيرهم عن ذلك بفوارق واسعة . وإنما الله حكيم في التعامل مع تنوع الناس وفهمهم .

ب) الالتزام بوقت محدد في الكلام

يجب على المحاور أن يحترم حدود اللباقة والأدب والذوق الرفيع، وأن لا يسيطر على الحديث بطوله أو يفرط في التفاصيل التي قد تتجاوز حدود الاحترام المتبادل . كما يقول ابن عقيل في كتابه فن الجدل، ينبغي أن يتبادل الطرفان الحديث بشكل مناوب دون أن يتحول إلى منازعة، حيث يستمع المعارض للحجج المقدمة حتى ينهي المتحدث تقديم دليله، ثم يتبعه المتدل ليعرض اعتراضاته، دون أن يقاطع أحدهما الآخر، مما يسهل على كل منهما فهم ما يقصده الآخر بعد انتهاء النقاش .

وقال: بعض الناس يقومون بذلك لِيُبرزوا للحاضرين ذكاءهم ودهاءهم، ولكن ليس في ذلك فضيلة، لأن المعاني متصلة ببعضها البعض، وليست من علم الغيب أو من حكم صادق أو استنباط خاص يستحق التفاخر.⁶⁶

المدى والتوازن في الحديث يعتمد على السياق والظروف، ففي المناسبات مثل الندوات والمؤتمرات، يتم تحديد فرص التحدث بواسطة رئيس الجلسة أو مدير الندوة، ويجب على الجميع الالتزام بهذه التعليمات .

66 علم الجدل ص 13 .

الندوات واللقاءات في المعسكرات والمتنزهات قد تتيح فرصة للحديث المطول أكثر من الأماكن الأخرى، بهدف منح المستمعين الوقت للتأقلم والتفاعل. وقد يختلف السياق في المسجد مقارنة بالجامعة أو المؤسسات التعليمية الأخرى.

من المهم أن تدرك أن الأسباب الرئيسية لحديث المطول وانقطاع حديث الرجال تعود إلى الأسباب التالية:

- إعجاب الشخص بنفسه
 - حب الاستحسان والثناء
 - اعتقاد المتحدث أن ما يقدمه هو جديد بالنسبة للآخرين
 - قلة الاهتمام بمعرفة الناس ووقتهم وظروفهم
- واحدة من تلك الأسباب، إذا تجلت في أذهان السامعين، تؤدي إلى تشتت انتباههم وشعورهم بالملل والثقل خلال استماعهم للمتحدث. وتدرك جيدا أن السامع لديه حد معين من القدرة على التركيز والاستمرار، وإذا تجاوز هذا الحد، يمكن أن يشعر بالملل ويتعرض للشروود الذهني، وقد لا يتجاوز هذا الوقت في بعض الأحيان خمس عشرة دقيقة.
- و من الأفضل للمتحدث أن يختم حديثه عندما يكون الجمهور لا يزال مهتما ويستفيد من المتابعة. هذا أفضل له من أن ينتظر الناس انتهاء حديثه ويفقدوا الاهتمام، فالله المستعان في ذلك.

ج) حسن الاستماع وأدب الإنصات وتجنب المقاطعة

بالإضافة إلى الالتزام بالوقت المحدد وعدم الإطالة، يُنصح أيضا بالاستماع الجيد واللباقة أثناء الاستماع، وعدم مقاطعة المتحدث. من غير المناسب أن تركز كل انتباهك على ما ستقوله دون أن تأخذ في اعتبارك ما يقوله الطرف الآخر في الحوار. كما قال الحسن بن علي لابنه رضي الله عنهما:

"يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ولا تقطع على أحد حديثا وإن طال حتى يمسك." ويقول ابن المقفع:

"تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع: إمهال المتكلم حتى ينتضي حديثه وقلة التلفت إلى الجواب والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول." يقول.

وفي الحوار الفعال، يتطلب الأمر سماعا متأنيا، فإن الحوار الذي يخلو من حسن الاستماع يكون كما يقول الناس عبثيا، حيث يبدو كل من الأطراف معزولا عن الآخر.

الاستماع الجيد هو أساس الوصول إلى توافق في الآراء وفهم نقاط الخلاف وأسبابها، كما يساعد في تعزيز العلاقة وتفتح القلوب، وتعزيز احترام الأفراد، وتحقيق الراحة النفسية، مما يساهم في تخفيف التوتر والتشنج. كما يظهر للمتفاوضين جدية بعضهم البعض واحترام

المواقف المختلفة وأهمية الحوار. هذا يُسهم في السعي المشترك نحو تحقيق الفائدة والوصول إلى حلول مجدية.

(د) تقدير الخصم واحترامه

يجب في جلسات الحوار التأكيد على التقدير المتبادل بين الأطراف، ومنح كل فرد حقه، والاعتراف بمكانته ومرتبته، والتحدث باستخدام العبارات المناسبة والألقاب الملائمة والأساليب المهذبة.

تبادل الاحترام يساهم في قبول الحقيقة وتجنب النقد السلبي وتعزيز دعم الفرد. بالمقابل، الإساءة للأشخاص والتهاون بمكانتهم أمر غير مقبول ومحرم.

وما يتم التأكيد عليه من التقدير والاحترام لا يتعارض مع النصح وتصحيح الأخطاء باستخدام الأساليب الراقية والمهذبة. فالتقدير والاحترام يُمثلان النزاهة الحقيقية والاعتراف بالحق وابتعدان عن النفاق والمدح الزائف والتفاخر بالباطل.

ومن جوانب هذه الخصال الأدبية أن يتم التركيز على الموضوع المطروح بحيث يُناقش بالبحث والتحليل والنقد والإثبات والنقض، دون الدخول في النقد الشخصي أو الهجوم على الأفراد أو الانحياز لشهاداتهم ومؤهلاتهم الشخصية. هذا يهدف إلى منع تحول الحوار إلى مجرد مبارزة كلامية تتميز بالانتقاد والتجريح، والابتعاد عن مناقشة الأفكار والقضايا بشكل فعال.

هـ) تقييد المناظرات في مكان معين

يؤكد العلماء على أن النقاشات والمناظرات ينبغي أن تُجرى في أماكن ذات حضور محدود، وهو رأي متفق عليه يهدف إلى تعزيز الفكر والتفهم، وتحقيق صفاء الذهن والتوجه نحو النية الحسنة. ويعتبرون أن وجود جمهور كبير قد يثير دوافع الرياء والرغبة في التفوق بغض النظر عن صحة الحقيقة أو الباطل.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: **قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنًا وَفِرَادًا ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ...** ﴿سبأ: ٤٦﴾ .

أشاروا إلى أن الأجواء الجماهيرية والمجتمعات الكبيرة غالباً ما تساهم في غموض الحقيقة وتشتت الأفكار، حيث يكون أفراد الجماهير غالباً غير مختصين، مما يقربها من الغوغائية والتقليد الأعمى، مما يجعل الحق مبهماً.

على النقيض، عندما يكون النقاش محدود الحضور والأفراد متخصصين، يكون أكثر دعوة إلى توحيد الفكر والرأي، وأقرب إلى أن يعود الخاطئ إلى الحق ويتخلى عن ما هو زائل أو مشكوك فيه. وفي حالة الظهور أمام الجماهير، قد يكون من الصعب عليه الاعتراف بالخطأ أمام أنصاره أو خصومه.

لهذا السبب، أرشد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآية إلى مخاطبة قومه بهذا الأسلوب، لأن الاتهامات التي وجهوها إليه كانت تعكس جهلهم وعنادهم، كما حصل مع المتكبرين السابقين تجاه الأنبياء الآخرين.

تشير كتب السير إلى أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي خرجوا في إحدى الليالي ليصغوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يؤدي الصلاة في بيته. فجلس كل واحد منهم في مكان مختلف للاستماع، دون أن يعرف مكان الآخر. وظلوا يستمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر، ثم تفرقوا وعندما التقوا في الطريق لاحقاً، تبادلوا اللوم.

قال بعضهم لبعض: "لا تعودوا إلى هذا المجلس، فقد يلاحظكم بعض جهلة الناس فيفسد ذلك في أنفسكم"، ثم تفرقوا. وبعد مرور ليلة ثانية، عاد كل واحد منهم إلى مكانه واستمعوا حتى الفجر، ثم تفرقوا، وكرروا ما قالوه في المرة الأولى. وفي الليلة الثالثة، اجتمعوا مجدداً واستمعوا حتى طلع الفجر، ثم تفرقوا وانفقوا على ألا يعودوا، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

في الصباح، خرج الأخنس بن شريق وعاد إلى أبي سفيان بن حرب في بيته، وسأله عن رأيه فيما سمعه من محمد. فأجابه أبو سفيان: "لقد سمعت أموراً أفهمها وما يقصد منها، وأشياء أخرى لم أفهم معناها ولا ما يقصد بها." ثم ذهب الأخنس إلى أبي جهل وسأله عن رأيه في ما سمعه من محمد، فرد أبو جهل: "ماذا سمعت؟ نحن وبنو عبد مناف تنازعنا على الشرف، أطعمتنا فأطعمنا، وحملونا فحملنا، وعطونا فأعطينا، حتى أصبحنا في وضعٍ متساوٍ، ثم قالوا: لدينا نبي يأتيه الوحي من السماء! متى نصل إلى هذا؟ والله لن نؤمن به أو نصدقَه." فقام الأخنس وتركه.

١) الأُخْلاص

هذه الصفة في الأدب لتكامل ما تم ذكره عن جوهر التجرد في السعي وراء الحق .
يجب على المتحاور أن يثبت نفسه ويعودها على الإخلاص لله في جميع المواقف وفي كل
جانب من ميدان الحوار والجدل . ومن أبرز المظاهر في ذلك: أن يتعد عن حب الظهور
والرغبة في التفرد بين الأقران، وعن إظهار البراعة وعمق الثقافة ليتفوق على الآخرين
والمنافسين . إذا كان الهدف هو جلب الإعجاب والمدح، فإن ذلك يفسد الأمور ويجولها عن
هدفها الحقيقي .

فحص النفس يكون دقيقا وناجحا إذا وجه المتحاور لنفسه هذه الأسئلة:

هل هناك فائدة واضحة متوقعة من هذا النقاش أو المشاركة؟

هل الهدف هو السعي للشهرة أو إرضاء الرغبة في المشاركة والحديث؟

هل من المحتمل أن يؤدي هذا الحوار إلى نزاع أو إثارة الفتن وفتح أبواب للخلافات التي

ينبغي تجنبها؟

يجب أن يحذر المتحاور من التلبسات النفسية والغرور، فقد يتصور بعض الأشخاص

أنهم يدافعون عن الحق، في حين أنهم في الواقع يسعون إلى إثبات وجهات نظرهم الشخصية

ورغباتهم . التجرد والإخلاص يعني أن يكون المتحاور راضيا ومرتاحا إذا تم تأكيد الحق على

لسان شخص آخر، وأن يفهم أن الأفكار والآراء ومسالك الحق ليست حكرا على فرد أو

مجموعة معينة. المخلص هو من يسعى إلى انتشار الحق في كل مكان ومن أي فم وفي أي زمان.

في هذا السياق، الفكرة الخاطئة هي أن تعتقد أنك الوحيد الذي يغار على الحق، والوحيد الذي يحبه، والوحيد الذي يدافع عنه، والوحيد الذي يتبناه، والوحيد الذي يسعى لصونه.

الجميل والنبيل، والصدق مع النفس، وقوة الإرادة، والإخلاص العميق هو أن تتوقف عن الحوار إذا شعرت أنك قد فقدت مساره، ودخلت في مجريات الجدل والخلافات التي لا نهاية لها.

هذا هو ما تمكيني من تلخيصه، وعلى الله التوفيق، وصلى الله على محمد وآله وسلم. وأما آداب الحوار في القرآن الكريم^{٦٧} فقد ذكرنا ما يلي.

إذا كنا نرغب في أن يظل الحوار غنياً ورقيقاً، بعيداً عن الفوضى والانهيارات، فمن الضروري أن يكون مشبعاً بمجموعة من القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة. هذا يسهم في حفظ نقاوة الفكر واتصال الإيصال، وسنناقش فيما يلي بعض من أهم آداب الحوار وأخلاقياته، وأهميتها:

أ) الكلمة الطيبة والقول الحسن

لغة المتحدث تعكس هويته، وكلما كانت كلماته مستندة إلى معايير موضوعية وأخلاقية، وكلما استطاع أن يحقق هدفه وأن يؤثر في الآخرين بنجاح. الكلام هو نظام لغوي يتعلمه الإنسان، وكلما تقنن في استخدامه الشخص، كلما زاد تأثيره في محادثاته مع الآخرين. من هذا المنطلق، يولي القرآن الكريم اهتماماً كبيراً للأسلوب الذي يتم به الحوار، وكان يوجه بشكل متكرر نحو استخدام الكلمة الطيبة والقول الحسن. قال تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ* يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿إبراهيم: ٢٤-٢٧﴾ .

ب) الصمت وحسن الاستماع

نظراً للمشاكل والمشاكل التي يمكن أن يسببها الكلام للإنسان، فإن الإسلام رأى الصمت فضيلة يجب أن يكون المسلم حريصاً عليها، وأشار لنا أن الصمت في كثير من الأحيان يكون أفضل من الكلام. قال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ صَمَتَ نَجَا".^{٦٨} ونقل عن أبي الدرداء

٦٨ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: السنن، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. د. ت)، كتاب صفة

القيامة والرقائق والورع، باب رقم ٥٠، حديث رقم ٢٥٠١، ج ٤، ص ٦٦٠.

أنه قال: أُصِفُ أذنيك مِنْ فيك، فَإِنَّمَا جُعِلَ لكَ أَذنانِ اثنتانِ وفم واحد، فاسمع أكثر مما تقول. ٦٩

الصمت لا يجب أن يُفهم بشكل سلبي، فهو لا يعني غياب التفكير أو فقدان الفعالية. بل ينبغي في الصمت أن يكون الانصراف إلى استماع فعال. لذا، نجد أن القرآن الكريم قد ارتبط بين الصمت وحسن الاستماع في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: الآية ٢٠٤) لا يكفي الصمت فقط عند قراءة القرآن، بل يجب أيضا أن يكون هناك استماع جيد، أي الاستماع للقرآن بتأمل وتدبر ووعي. حسن الاستماع هو نوع من الأدب الذي يجب الالتزام به، ولا يمكن لأي شخص أن يتقن فن الحديث دون أن يكون بارعا في الاستماع أولا. وقال أحد الحكماء لابنه: يا بني تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الحديث. ٧٠ وقد أكد القرآن الكريم على أهمية الإحسان في الاستماع. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: الآية ١٧).

ج) احترام المحاور وكسب وده

يجب على المتحاور اختيار الكلمات التي تكون مقبولة ومؤثرة لدى الشخص الآخر، والتي تجعله يشعر بالقبول والتأثير. على سبيل المثال، يمكن أن يُناديه باستخدام اسمه المحب

٦٩ ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد: العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت)، ج ٢، ص ٣٠٦.

٧٠ ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد: تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: مكتبة القرآن)، ص ٧٢.

له، أو بصفة يجيها في نفسه. كأن يقول لابنه: (يا بني)، ولأبيه (يا أبت)، ولقومه (يا قوم)، ونحو ذلك.

يُشير القرآن الكريم إلى حديث موسى مع فرعون، فيقول: وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الأعراف: ١٠٤﴾ . أول ما يلفت الانتباه في هذا الخطاب هو أن موسى عليه السلام استخدم الاسم الذي يفضله فرعون عند مناداته، حيث قال: "يا فرعون". وهذا الاسم يعكس القوة والعظمة التي يشعر بها فرعون، مما يظهر مراعاة لمشاعره وتقدير لمكاته.

د) استخدام الأسلوب العقلي والمنطقي

ينبغي أن يكون الحوار مبنيًا على التفكير العقلي واستخدام المنطق الصحيح، سواء في تقديم الأفكار وتبريرها أو في قبول ما يُطرح من الجانب الآخر، شريطة أن يكون قد تم التوصل إليه بمنطقية وحجة قوية. في القرآن الكريم، يظهر أن الحوار يعتمد على العقل والمنطق، ولا يتأثر بعوامل خارجية مثل النبوة أو الوحي. الحوار الذي يستند إلى أدلة واضحة وبراهين منطقية قوية يساهم في تعزيز حرية التفكير والتخلص من التعصب والتحيز.

في حوارهِ مع الله عز وجل، يقدم إبراهيم عليه السلام نفسه وكأنه خالٍ من النبوة، بل من الإيمان نفسه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ

قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿البقرة: ٢٦٠﴾ . فإبراهيم عليه السلام هنا يسعى للحوار وفقاً لقواعد العقل والمنطق، ويرفض أي تأثير غير عقلي في النقاش.^{٧١}

ط. أغراض الحوار القرآني

وقد تناول القرآن مجموعة من أهداف الحوار وأغراضه، ومن أبرزها:^{٧٢}

أولاً: تأسيس الحجة وتقديم الأدلة التي تدعم الحق وتثبتته.

ثانياً: كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإبراز الحق وتبيين الزيف، وتفنيده ما يتعلق به من أوهام وضلالات، والتحذير من مسارات الضلال كما ذكر الله تعالى في القرآن الكريم:
قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ
قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ^{٥٦} قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا
عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ^{٥٧}
﴿الأنعام: ٥٦-٥٧﴾ .

ثالثاً: الحوار هو وسيلة الدعوة، إذ إن الحوار الوديع هو مفتاح للقلوب وطريق للوصول

إلى النفوس، فهو الطريق لنشر الحق كما ذكر الله تعالى:

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿النحل: ١٢٥﴾ .

٧١ انظر: الهيبي، عبد الستار: الحوار: الذات والآخر، ص ٥٨-٥٩.

٧٢ <https://www.hjournal.net/en/3-4-22>

رابعاً: تقريب وجهات النظر هو أحد ثمرات الحوار، حيث يسهم في تقليص الفجوة بين الآراء المتعارضة وتقريب وجهات النظر بين الأمم والشعوب، وذلك كما ذكر الله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿آل عمران: ٦٤﴾ .

الفصل الثاني : علم اللغة الاجتماعي

التقدم العلمي في العصر الحديث ساهم في توسيع مجالات المعرفة لدى الإنسان، مما جعل التخصص أمراً ضرورياً لمن يرغب في الانخراط في البحث العلمي . ونتيجة لذلك، أصبح علم اللغة مجالاً مستقلاً بحد ذاته، تماماً كما حدث مع باقي فروع المعرفة وإذا كان هناك حاجة لتصنيف العلوم في العصر الحديث، فإن علم اللغة يحتل موقعا محددًا في نظام التصنيف العشري لديوي^{٧٣} يحتل مكانا وسطا بين علم الاجتماع والعلوم الطبيعية، مما يعكس بوضوح موقع علم اللغة الحديث بين العلوم والمعارف الحديثة.^{٧٤}

بالنظر إلى هذه الجوانب، يفرق اللغويون المعاصرون بين فرعين في علم اللغة الحديث: الأول هو علم اللغة النظري، الذي يتناول موضوعات مثل الأصوات، واللغة التاريخية،

٧٣ انظر Dewey Decimal Classification

٧٤ محمد فهيم حجازي، علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغة السامية)، ١٩٧٣، ص ٥٦ .

والدلالة، والقواعد . والثاني هو علم اللغة التطبيقي.^{٧٥} تتركز مباحث علم اللغة التطبيقي على مواضيع مثل تعليم اللغات، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الحاسوبي، وإعداد المعاجم.^{٧٦} ويعتبر علم اللغة التطبيقي نتاج تفاعل علم اللغة مع العلوم الأخرى، حيث يركز على الاستفادة من منهجيات ونتائج دراسة علم اللغة وتطبيقها في مختلف المجالات العلمية.

وجدير بالذكر هنا أن اللغة قد ظلت فيما مضى قرونا كانت الدراسات السابقة تقتصر على نطاق ضيق في البحث العلمي، لا تتجاوزه أو تتعداه. ولكن أخيراً، بدأت الأذهان تدرك أهمية الدلالات التي تحتويها الكلمات، وبدأ الدارسون يعتبرون هذه الدلالات الهدف الرئيسي للغة. فاللغة، في جوهرها، تعد وسيلة لتنظيم المجتمع البشري، حيث تربط الأفراد بالجماعات، وتجمع بين الشعوب.^{٧٧} وعلى ذلك يمكننا القول بأن اللغة تؤدي الدور الأساسي في الإتصال بين الإنسان وأخيه الإنسان وهي الوسيلة الرئيسية في خلق الحضارات وبناء المجتمعات الإنسانية، وهو ما يميز الإنسان عن الكائنات الحية الأخرى.

تبع عن العلاقة بين اللغة والمجتمع ظهور ما يُعرف بـ "علم اللغة الاجتماعي" وهو فرع من علم اللغة التطبيقي كما قد ذكرته الباحثة من قبل. وعلم اللغة الاجتماعي هو دراسة

٧٥ اعلم أن علم اللغة التطبيقي ليس مجرد تطبيق لعلم اللغة، ولا يمتلك نظرية خاصة به. بل هو مجال تلتقي فيه علوم متنوعة عندما تتناول دراسة اللغة الإنسانية. إنه علم يعتمد على مجموعة من الأنظمة العلمية المختلفة، ويستخدم نتائجها لتحديد المشكلات اللغوية وإيجاد الحلول لها. ورغم أن علم اللغة ليس العنصر الوحيد في هذا المجال لأنه يستفيد من علوم أخرى، فإنه بلا شك يمثل العنصر الأهم. (انظر عبد الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية: إسكندرية ١٩٩٠ ص ١٢-١٣).

٧٦ محمود إسماعيل صيني، مجلة الفيصل العدد ١٨، ص ٧٦/٨٠.

٧٧ تمام حسان، "مناهج البحث في اللغة، (دار الثقافة: ١٩٨٦)، ص ١٦٠.

اللغة خلال علاقتها بالمجتمع ، ويقول هدسون^{٧٨} يعد علم اللغة الاجتماعي من أبرز المجالات التي شهدت نمواً وتطوراً ملحوظاً في الدراسات اللغوية، سواء من حيث المناهج الدراسية أو ميادين البحث. كما أنه قادر على إمطة اللثام عن العديد من الجوانب الغامضة المتعلقة بطبيعة اللغة والمجتمع.

أ. مفهوم علم اللغة الاجتماعي

نشأت لغة الإنسان في بداية الأمر على شكل غير لفظي تعتمد في جوهرها على الصياح والإشارات البدنية والحركات الجسمية المختلفة ثم تطور شيئاً فشيئاً لتصبح لغة لفظية قوامها كلمات خاصة يكتسبها الفرد من بيئته المحيطة به (الأسرة)، إنَّ رغبة الفرد في التعرف على بيئته واكتشاف أسرارها، هي المثير الأساسي الذي يدفع الفرد إلى الحوار اللفظي.

يستخدم الفرد أدوات اتصالية عديدة لتقل رسالته لعلَّ أبرزها اللغة اللفظية، سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة، وهي ليست إلا طريقة واحدة من بين عدة طرق للتواصل بين الأفراد والجماعات.

فاللغة أداة الإنسان للتعبير عن مشاعره وحاجاته و ضروب السلوك المختلفة له و لغيره من الأفراد، و اللغة في طبيعتها اجتماعية فلولا اجتماع الناس و تبادلهم الحوار بلغة مشتركة لما أتت هذه اللغة، و الإنسان حيوان ناطق (لأنه ينطق اللغة) و كلما تمكن الفرد

٧٨ هدسون، علم اللغة الاجتماعي، (قاهرة، عالم الكتب القاهرة : ١٩٩٠)، ص ١٢.

من استخدامها استخداما سليما و صحيحا (أي استخدم الكلمة في محاسنها وبالأسلوب اللائق لها) كان ناجحا في علاقاته الإجتماعية، حيث يساعده ذلك في استمرار العلاقة واستقرارها .

كما أن اللغة وسيلة الإنسان للتعبير عن أفراحه وأحزانه، عن الراحة والألم. فهي وسيلة تواصل الفرد مع الآخرين، كما أنها أداة التعامل مع الغير بها يعبر الفرد عن حاجاته وأحاسيسه ويعلن عن ذاته وهي وسيلة تنفيس فهي إذن تساعد الفرد على العيش في المجتمع والاستقرار فيه يشير رفاة الطهطاوي في كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" إلى أن اللغة هي وسيلة الإتصال الإجتماعي، وهذا ما ذهب إليه العديد من المفكرين الغربيين أمثال سكينر (Skinner) وبياجيه (Piaget).

و في هذا الصدد يقول رفاة الطهطاوي "و لم يكن الإنسان مخلوقا ليأنس مع إخوانه، والاجتماع مع أقرانه ليضع معهم هيئة اجتماعية و حالة عمران تمدنية، لم يكن لتخصيص الحكمة الإلهية له بصفة الناطقية كبير مزية." والناطقية هنا يقصد بها اللغة التي من الله بها الإنسان ليتصل بالآخرين.

تعتبر اللغة عامل قوي في نشأة أو تعديل سلوك الفرد، وهي وسيلة فعالة لتبادل المعارف و في توطيد العلاقة و الرابطة الإجتماعية، كما أنها أداة أساسية للإفصاح عما بداخل الفرد من أفكار و مشاعر.

كما أنه عن طريق اللغة أيضا يتعلم الفرد ما يجب و ما لا يجب فعله (يكتسب

الذات العليا) أي الرقيب على أقواله و أفعاله .

فالكسب اللغة يساهم في توجيه و ضبط السلوك، فيصبح الفرد يسلك سلوكا يتماشى مع معايير المجتمع، فيكتسب الفرد ما يسمى بالضبط الذاتي .
فاللغة تعتبر عامل أساسي في عملية التطبيع الاجتماعي، فلا تستطيع هذه الأخيرة تحقيق أهدافها بالإستغناء عن اللغة، فالكلمات عبارة عن رموز و علامات تشير إلى أشياء في مواقف معينة و تحمل معاني لتلك الأشياء و في تلك المواقف، و عن طريق هذه الرموز يستطيع الفرد الإستجابة للأشياء حتى في حالة عدم وجودها في المجال الإدراكي الحسي المباشر .

كما يستطيع الآباء باستخدام الألفاظ و الكلمات ذات دلالات ومعاني خاصة بخبرات وتجارب سابقة مروا بها، أن ينقلوا إلى أبنائهم معاني المواقف المختلفة التي قد يواجهونها في حياتهم لاحقا، وهكذا يكون الطفل قد اكتسب اتجاهات سلوكية خاصة بمواقف معينة لم يختبرها بعد، و لهذا فللغة شأن عظيم و أهمية بالغة في توجيه سلوك الطفل، لأنها تعد عاملاهما يساهم في تهيئة الفرد للقيام بدور إجتماعي، بفهمه أو لا للمعايير المشتركة بين جميع الأفراد، و التي تمثل القدر المشترك الذي يبنى عليه التفاعل أي التأثير و التأثير .

اللغة تعتبر انعكاسا للمجتمع، حيث تعكس مظاهره المختلفة مثل الحضارة أو التخلف . لذلك، فهي مرتبطة بشكل وثيق بكل جوانب المجتمع، مما جعل اللغويين يولونها اهتماما خاصا باعتبارها ظاهرة اجتماعية . ولهذا السبب، أصبح هناك علم يختص

بدراسة مسائل اللغة وعلاقتها بالمجتمع، ويُعرف هذا العلم بعلم اللغة الاجتماعي Sociolinguistic. يستعرض علم اللغة الاجتماعي العلاقة بين اللغة والمجتمع، حيث يتناول جميع جوانب بنية اللغة وطرق استخدامها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية.

يقول عبد الراجحي^{٧٩}: بينما يعزل علم اللغة النطق الإنساني إلى أجزاء محددة وفق معايير معينة لدراسته بشكل موضوعي، يركز علم اللغة الاجتماعي على دراسة اللغة في سياق اجتماعي. يعني ذلك أن هذا العلم يبحث في الظاهرة اللغوية عندما يحدث تفاعل لغوي بين المتحدثين والمستمعين، حيث يكون هناك موقف لغوي يتم فيه تبادل الكلام وتوزيع الأدوار والوظائف وفقاً لقواعد معروفة ومتفق عليها داخل المجتمع.

وخلاصة القول من بيان السابق أن علم اللغة الاجتماعي هو دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع^{٨٠}. ليس المقصود أن دراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع بدأت في فترة الستينات، بل على العكس، هناك تراث طويل في دراسة اللهجات والعلاقات بين معاني الكلمات والثقافات المختلفة، وكلاهما يدخل ضمن تعريفنا لعلم اللغة الاجتماعي. والجديد الذي ظهر في الستينات هو التركيز الواسع والاعتراف بقدرة علم اللغة الاجتماعي على إمطة اللثام عن الكثير من الأمور الغامضة المتعلقة بطبيعة اللغة والمجتمع.

ويُعرف أن علم اللغة الاجتماعي بثلاثة مصطلحات باللغة الإنجليزية وهي^{٨١}:

▪ Sociolinguistics

٧٩ عبد الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، (إسكندرية، دار المعرفة الجامعية: ١٩٩٠)، ص ٢٤.

٨٠ هـسون، علم اللغة الاجتماعي، (قاهرة، عالم الكتب القاهرة: ١٩٩٠)، ص ١٢.

٨١ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (دار الثقافة: ١٩٨٦)، ص ١٦٦.

- *Sociological Linguistics*
- *Social Linguistics*

والمصطلح الأول هو الأكثر شيوعاً واستخداماً، على الرغم من أن المصطلحات الثلاثة جميعها تشير إلى نفس المجال، وهو دراسة اللغة في سياق علاقتها بالمجتمع.

وهناك ما يسمى بـ (علم الاجتماع اللغوي) أو (علم الاجتماع اللغة) *The sociology of language*.

إذا كان لدى الباحث القدرة أو الكفاءة على تحليل بنية اللغة وتوضيح خصائصها التركيبية والدلالية، وكان من المتخصصين في الدراسات اللغوية، فسوف يستخدم مصطلح "علم اللغة الاجتماعي" لأنه سيركز بشكل أكبر على الجانب اللغوي عند دراسة علاقة اللغة بالمجتمع. أما إذا كان الباحث متخصصاً في دراسات علم الاجتماع ويميل إلى التركيز على الجانب الاجتماعي في بحثه، فسوف يستخدم مصطلح "علم الاجتماع اللغوي" أو "علم اجتماع اللغة"، الذي يدرس المجتمع من خلال علاقته باللغة.

وذلك القول السابق موافقاً بقول د. هيدسون^{٨٢} Hudson على أن الاختلاف بين (علم

اللغة الاجتماعي) و (علم اجتماع اللغة) إنه ليس اختلافاً في المكونات، بل في محور الاهتمام. يعتمد ذلك على مدى أهمية اللغة الأم للمجتمع بالنسبة للباحث، وكذلك على مدى براعته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية. هناك قدر كبير من التشابه بين هذين المجالين، وقد لا يكون مجدداً محاولة الفصل بينهما بشكل أوضح مما هو عليه الآن.

٨٢ هيدسون، علم اللغة الاجتماعي، (قاهرة، عالم الكتب القاهرة: ١٩٩٠)، ص ١٧-١٨.

ب. موضوعات علم اللغة الاجتماعي

قال حسن ظاظا^{٨٣} أن الحياة بلا مجتمع ممكنة ولكن لن يتعلم أحد كيفية التعبير عن أفكاره الداخلية للعلم الخارجي وفقا للنظام التقليدي المسمى في كل مجتمع بالكلام أو اللغة. وقد أشار العلماء والباحثون إلى مجموعة من الموضوعات التي يركز عليها علم اللغة الاجتماعي، ومن أهمها ما يلي:^{٨٤}

١. تأثير بنية الأسرة على تعلم الأطفال للغة.
٢. مراحل تطور واكتساب اللغة عند الأطفال.
٣. العمر الذي يبدأ فيه الأطفال فهم الدلالة الاجتماعية للكلمات المختلفة.
٤. العلاقة بين استخدام اللغة والمكانة الاجتماعية للفرد.
٥. دور اللغة في تمكين أحد الأفراد من السيطرة على المجموعة.
٦. الغزو اللغوي المتمثل في تبني شعب للغة جديدة وترك لغته الأم وعلاقته بالظروف الاجتماعية.
٧. تأثير العوامل الاجتماعية على التغييرات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في اللغة.
٨. الجانب الاجتماعي في لغة المحادثة وما يحدث عند لقاء شخصين يتحدثان لغات مختلفة.

٨٣ حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة علم اللغة، (دمشق، دار القلم: ١٩٩٠)، ص ٣٢.

٨٤ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (دار الثقافة: ١٩٨٦)، ص ١٦٢-١٦٣.

٩. النتائج الاجتماعية للأحكام المتعلقة بالصحة النحوية.
١٠. تغيير النطق لبعض الكلمات عند الفتيان أو العكس وعلاقته بالجانب الاجتماعي.
١١. تعدد اللهجات في المجتمع الواحد ووجود لغات خاصة وخصائص كل منها.
١٢. أهمية اللغة في تعزيز هوية الجماعة.
١٣. التواصل اللغوي بين الشعوب أو الجماعات ذات اللغات المختلفة والمشكلات التي تنشأ عنه.
١٤. العلاقة بين اللغة والمجتمع والتواصل الحضاري.
١٥. علاقة اللغة بالثقافة ودورها في تشكيل البناء الثقافي، وكذلك تأثير الثقافة على تشكيل اللغة.
١٦. المعايير أو العوامل التي تؤثر في اختيار الشعوب المستعمرة للغة أو ١٧. اللغات الوطنية.
١٧. تأثير التشابه اللغوي على تعزيز الشعور بالوطنية.
- ويقول سامي عياد حنا وأصحابه على أن موضوعات التي تهتم بها علم اللغة الاجتماعي منها^{٨٥}:

٨٥ سامي عياد حنا وغيره، معجم اللسانيات الحديثة، (لبنان، مكتبة لبنان ناشرون: ١٩٩٧)، ص ١٣١-١٣٢.

١. إن اللسانيات الاجتماعية تهتم—وبناء على هذا التصور— من خلال مراقبة أبعاد وأنماط العلاقة المختلفة التي تتجلى في تنوع المستويات اللغوية داخل المجتمع الواحد، بالإضافة إلى تنوع اللغات واللهجات،^{٨٦} وتهتم بمراقبة هذه المستويات أو اللهجات أو اللغات وتحديد الجماعات التي تستخدمها، سواء كانت هذه الجماعات عرقية أو دينية أو مهنية^{٨٧} أم تهتم بالفوارق الطبقيّة وكذلك بالتخطيط اللغوي *Language planning*.

٢. اللسانيات الاجتماعية تهتم أيضاً بدراسة التباين الاجتماعي الذي يظهر بوضوح في المجتمع اللغوي ويسجل الفروق اللغوية بين مختلف طبقات المجتمع. بالإضافة إلى ذلك، تراقب التحولات الاجتماعية وانتقال الأفراد من طبقة لأخرى وتأثير ذلك على

٨٦ من وجهة نظر بعض اللسانيين، يمكن تعريف اللهجة بأنها مجموعة من الخصائص الصوتية التي تخص بيئة معينة، ويشترك فيها جميع أفراد تلك البيئة الخاصة باللهجة، ونلاحظ أن هذه الصفات التي تميز لهجة عن أخرى تمثل في الاختلاف الصوتي في نطق الكلمات ثم ترجع إلى صفات صرفية تتعلق ببنية الكلمات وصفات دلالية تتعلق بمعاني الكلمات، وكلما زادت هذه الصفات، ابتعدت اللهجة عن اللغة الأم أو الأصل الذي انبثقت عنه، حتى تتحول إلى لغة مستقلة بذاتها ويحقق هذا عندما نصل إلى درجة يصعب معها التفاهم باللهجة أو اللهجات المنبثقة عن اللغة الأم نتيجة لاختلافها الكثير في الأصوات وبنية الكلمات ودلالاتها، وبناء على ذلك فإن هذه اللهجة أو اللهجات التي اتخذت شكلاً أو طابعاً محلياً في إقليم معين أو أقاليم بعينها تبدأ في الاشتقاق تدريجياً وتحول إلى لغات وإن كانت تنتمي إلى فصيلة لغوية واحدة ومثال ذلك بعض اللغات الأوروبية مثل الفرنسية والأسبانية والإيطالية التي كانت في نشأتها لهجات انبثقت عن اللغة اللاتينية الأم.

بموجب هذا المفهوم، تعبر اللهجة شكلاً محددًا من اللغة يُستخدم في بيئة خاصة أو منطقة جغرافية معينة، حيث تظهر فروق واضحة تميزها عن اللغة الفصحى السائدة. يمكن أن تكون هذه اللهجة جغرافية إقليمية أو اجتماعية، حيث تلعب العوامل الاقتصادية والتعليمية والمهنية دوراً مهماً في تحديد اللهجة الاجتماعية بجانب اللهجة الإقليمية. (سامي عياد حنا وغيره "معجم اللسانيات الحديثة" مكتبة لبنان ناشرون (١٩٩٧) ص ٣٧.

٨٧ يشير المصطلح إلى مجموعة من الألفاظ والتعبيرات في الكلام أو الكتابة التي تحمل دلالات خاصة وتستخدم في سياقات اجتماعية أو مهنية معينة، ولا يفهما إلا مجموعة محددة من الأشخاص، كما هو الحال مع المتخصصين في مختلف المهن مثل الأطباء والمهندسين والمحامين والتجار، يظهر من هذا التعريف أن اللغة الخاصة المهنية تنشأ وسط شريحة اجتماعية معينة يستخدم أفرادها كلمات معينة من اللغة المستعملة في المجتمع استخداماً خاصاً ينحرف بها عن دلالاتها المألوفة، وقد تنتقل هذه الكلمات بدلالاتها الخاصة الاصطلاحية إلى جميع أفراد المجتمع، ومثال ذلك هذه الألفاظ التي عرفها المجتمع المصري (باكو) بمعنى الألف جنبه، و (أرنب) بمعنى مليون جنبه و (فيل) بمعنى مليار جنبه، وهي ألفاظ استعملها طائفة من التجار ورجال الأعمال في مصر بهذه الدلالة ثم شاعت بين أفراد المجتمع.

انظر: سامي عياد حنا وغيره، معجم اللسانيات الحديثة، (لبنان، مكتبة لبنان ناشرون: ١٩٩٧)، ص ٧١.

الأشكال اللغوية التي يختارونها . كما تأخذ اللسانيات الاجتماعية بعين الاعتبار عند دراسة معاني الكلمات تحديد دلالاتها من خلال سياقها الاجتماعي ومواقف المتحدثين ومكانتهم في الطبقات الاجتماعية .

٣. كما نجد اللسانيات الاجتماعية تهتم أيضا بدراسة محظور الكلام أو الكلمات المحظورة ^{٨٨} *Tabooed words* لأن هذه الظاهرة اللغوية مرتبطة بشكل وثيق بالمجتمع أو الجماعة اللغوية، حيث يخضع استخدام اللغة لقواعد واعتبارات اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر . هذه القواعد أو الاعتبارات هي التي تحدد قبول أو رفض استعمال كلمات معينة في اللغة .

وهناك مؤتمر علم اللغة الاجتماعي الأول الذي وقع في University of California LA في السنة ١٩٦٤ وحصل على تركيز سبعة أبعاد ما يتعلق بتحليل علم اللغة الاجتماعي وهي:

١. الهوية الاجتماعية لدى المتكلم
٢. الهوية الاجتماعية لدى السامع
٣. البيئة الاجتماعية التي وقع فيها التواصل
٤. التحليل عن *Synchronic* و *Diachronic* من اللهجات الاجتماعية ^{٨٩}

٨٨ عرفت اللغات الأوروبية لفظ taboo في الربع الأخير من القرن الثامن عشر من اللغة البولونيزية وتعني مقدس أو ما لا يمس Untouchable أو المحظور من الأشياء والأماكن والأفعال والكلمات وقد استعمل الأثنروبولوجيون اللسانيون اللفظ بهذه الدلالة . يعنى مصطلح المحظور اللغوي الكلمات التي يشعر المتكلم بالخوف أو الحرج أو الخجل من النطق بها مثل الكلمات التي تعبر عن المرض والموت والأمور الجنسية ومثال ذلك قولهم المرض الخبيث أي السرطان وانتقل إلى رحمة الله أي مات، وقضى حاجته أي تخلص من فضلاته ، والمباشرة والملازمة بمعنى الجماع .

انظر: سامي عياد حنا وغيره "معجم اللسانيات الحديثة" مكتبة لبنان ناشرون (١٩٩٧) ص ٨٣-٨٤ .

٨٩ Diachronic (مكون من dia بمعنى "عبر" و chronic بمعنى "زمن") وهو مرادفا لعلم اللغة التاريخي .

٥. التقدير الاجتماعي المختلف عند المتكلم على أشكال سلوك اللغة

٦. طبقات تنوعات اللغوي

٧. التطبيق المؤلف من تحليل علم اللغة الاجتماعي

ومن موضوعات علم اللغة الاجتماعي أيضا هناك ما سمي بالحدث الكلامي والفعل الكلامي^{٩٠}. حيث لا يلفت وقوعهما في عملة الاتصال.

الحدث الكلامي هو التفاعل اللغوي الذي يحدث من خلال كلام أو أكثر بين المتكلم والمخاطب، متناولا موضوعا محددًا، وفي سياق معين يحدث فيه هذا التفاعل.^{٩١} كل نطق بشري داخل مجتمع معين يتأثر بالسياق الذي يحدث فيه، مما يعني أن الكلام يتشكل ويتأثر بعناصر معينة تحددتها. هذه العناصر تؤثر في شكل الكلام ومعناه، حتى لو كان النطق متشابهًا، يمكن أن يمثل الأحداث الكلامية بشكل مختلف بسبب تنوع عناصره. وتشمل عناصر الحدث الكلامية^{٩٢} وهي: المتكلم والمستمع، والعلاقة بينهما، واللغة المستخدمة، والسياق الذي يتم فيه الحديث، وموضوع الحديث، وطريقة التعبير.

Synchronic (مكون من syn بمعنى "في" و chronic بمعنى "زمن") وهو مرادف لعلم اللغة الوصفي.

انظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، (قاهرة: عالم الكتب القاهر، ١٩٩٨)، ص ٣٦.

٩٠ كان الفعل الكلامي في الحدث الكلامي كالخطبة والقصة الصغيرة والرواية وغيرها ما يتعلق بالفعل الكلامي. والحدث الكلامي هو المظاهر

الإجتماعية متعلقة بالمتكلمين وسياق ومكان معين. وأما الفعل الكلامي هو المظاهر النفسية وتعود هذه المظاهر قذرة من توجيه الأحداث. (انظر إلى:

Aslinda dan Leni Syaf Yahya, *Pengantar Sociolinguistik*, (Bandung: Refika Aditama, 2007).

91 Abdul Chaer dan Leonie Agustina, *Sociolinguistik Perkenalan Awal*, (Jakarta: PT. Rineka Cipta: 2004), Cet. Ke-2, h. 48.

٩٢ عبده الراجحي، فصول في علم اللغة، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧)، ص ١٦٦.

ومن هذا المنطلق، يجب علينا أن ندرك أن أي كلام ينقل إلينا يتأثر بمن قاله ومن استلمه، ومجالتهما أثناء الحديث، والمكان الذي جرى فيه الحديث، وكذلك بأسلوب الكلام من حيث ارتفاع الصوت أو انخفاضه، والسرعة أو البطء في النطق، وأمور أخرى تتعلق بعناصر الحدث الكلامي التي يمكن أن تفصل بينها بدقة.

الحدث الكلامي (بالإنجليزية: *Speech Event*) هو حدوث تفاعل لغوي في شكل أو أكثر من أشكال الكلام يشارك فيه طرفان، هما المتكلم والمحاور، بنقطة رئيسية في الكلام في زمان ومكان وسياق وموقف معين. فإن التفاعل الذي يحدث بين البائع والمشتري في السوق في وقت معين باستخدام اللغة كوسيلة للتواصل هو الحدث الكلامي. ونجد أيضا الحوادث المماثلة في المناقشات في المحاضرات، والاجتماعات الرسمية في المكاتب، وجلسات المحكمة، وغير ذلك.

يتضمن السياق عند هيميز (Hymes) (في نوركامتو *Nurkamto*)⁹³ على ستة أبعاد. أولاً، المكان والزمان (*setting*)؛ كالتفاعلات الدراسية، والأسواق، والمحطات، والمساجد، والمقاهي، ونحو ذلك. ثانياً، مستخدمو اللغة (*participants*)؛ كالأطباء والمرضى، والمحاضرين والطلبة، والبائعين والمشتريين، والوزراء والرؤساء، والأبناء والآباء. ثالثاً: موضوع المناقشة (*content*)؛ مثل التربية والثقافة والسياسة واللغة والرياضة. رابعاً، الهدف (*purpose*)؛ كلسؤال، والإجابة، والثناء، والشرح، والأمر. خامساً، النغمة (*key*)؛ مثل الفكاهة، والغضب، والسخرية، والسخرية، واللفظ. سادساً، وسائل الإعلام أو القنوات

93 Joko Nurkamto, *Pragmatik*, (Surakarta: FKIP Universitas Sebelas Maret, 2002), hlm. 2.

(channel)؛ مثل وجها لوجه، أو عبر الهاتف، أو عبر الرسائل، أو عبر البريد الإلكتروني، أو عبر البرقيات.

ولا بد عند القيام بدراسة حول البحوث اللغوية من هذه الناحية، أن تهتم الجوانب التي تدخل في هذه الدراسة. فالنظر في هذه الجوانب يمكن أن تبين العلاقة بين سياق الكلام والمعنى الذي يراد للتواصل. أما الجوانب المعنية فهي:

١. المتحدث والمحاور

ينطبق مفهوم المتحدث والمحاور في التعبير الشفهي وينطبق أيضاً بين الكاتب والقارئ في التعبير الكتابي. يشمل هذا الجانب العمر والخلفية الاجتماعية والاقتصادية والجنس ومستوى الألفة وغير ذلك.

٢. سياق الكلام

يتضمن السياق هنا جميع المعرفة الأساسية التي يُعتقد أنها مشتركة ومتفق عليها بين المتحدث والمحاور، والتي تدعم تفسير المحاور للخطاب الذي ألقى.

٣. الغرض من الكلام

من المؤكد أن كل كلام أو موقف لفظي يحتوي على أهداف وغايات معينة. ويشترك كلا الطرفين، أي المتحدث والمحاور، في نشاط موجه لذلك الهدف.

٤. الكلام كشكل من أشكال الفعل ونشاط الفعل الكلامي

يعتبر الكلام في البراغماتية شكلا من أشكال النشاط، أي نشاط الفعل الكلامي .
تتعامل البراغماتية مع الأفعال اللفظية أو العروض التي تحدث في مواقف محددة في وقت معين .
٥ . الكلام كمنتج للفعل الكلامي

يشير الكلام في البراغماتية إلى نتاج الفعل الكلامي، وليس إلى الفعل الكلامي نفسه .
لذلك فإن ما تدرسه البراغماتية ليست القوة البلاغية للفعل البلاغي (Illocution) فقط،
بل معناها وقوتها .

من البيان السابق، يتضح أن الحدث الكلامي يعد سلوكا اجتماعيا، بينما الفعل اللفظي
يعبر عن سلوك فردي نفسي . ويتأثر هذا الفعل الكلامي^{٩٤} بقدرته المتحدث على التعامل مع
الموقف المحدد . وكان أول من اعترف بمصطلح "الفعل الكلامي" هو أوستين (Austin)،
أستاذ جامعة هارفارد، في عام ١٩٥٦ .

أوضح أوستين (Austin) أن عندما يتحدث الشخص، يقوم بأداء ثلاثة أفعال لغوية في
نفس الوقت، وهس^{٩٥}: المعنى اللغوي للفعل الكلامي (Locution)^{٩٦}، القوة البلاغية للفعل
البلاغي (Illocution)^{٩٧}، القوة التأثيرية للفعل الكلامي (Perlocution)^{٩٨} .

٩٤ وقيل هو القيام بعملية إحداث الأصوات الكلامية لتكوين الكلمات وجعل لنقل المشاعر والأفكار من المتكلم إلى السامع

٩٥ Abdul Chaer dan Leonie Agustina, *Sociolinguistik Perkenalan Awal*, (Jakarta: PT. Rineka Cipta: 2004), Cet. Ke-2, h. 50.

٩٦ المعنى اللغوي ليس فيه إنجاز أو أثر. وقيل هو مجموع الكلمات التي نسمعها عندما نقول شيئا له معنا معين. وهو المعنى الأصلي. وقيل هو المعنى

التقليدي، انظر

Louise Cummings, *Pragmatik sebuah perspektif multidisipliner*, (Yogyakarta: Pustaka Pelajar, 2007).

٩٧ هو الفعل الإنجازي أي الحدث غير التعبيري وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يمكن خلف معنى الأصلي

٩٨ هو الفعل التأثيري أي الحدث التأثيري أي قوة الأثر يقصد به الآثار الذي يحدث الفعل الإنجازي في السامع

وبيانه كما يلي:

١. المعنى اللغوي للفعل الكلامي (*Locution*) هو الفعل الكلامي الذي يعبر شيئاً كما كان، (*the act of saying something*) أو فعل قول الشيء. ألقى المتكلم المعلومات فقط، دون أن يميل لفعل أي شيء، لاسيما عن تأثير الآخر.

٢. القوة البلاغية للفعل البلاغي (*Illocution*) هي الفعل الكلامي الذي يعبر شيئاً ويعبر الفعل لفعل الشيء أو ما يسمى بـ *the act of doing something*. فمثلها في كلمات "لا أستطيع الحضور" التي أقيت لصديق قد احتفل زفافه، فالمعنى فيها ليس أنه لا يستطيع حضور الحفل فقط، بل فيه معنى الاعتذار. ولقد صعب أن تعرف القوة البلاغية للفعل البلاغي (*Illocution*) إن لم تنظر أولاً هوية المتحدث والمحاور، ومتى وأين يحدث الفعل الكلامي وغير ذلك.

يقسم سيرلي (Searle) في ليش (Leech)⁹⁹ القوة البلاغية للفعل البلاغي (*Illocution*) إلى خمسة، وهي: الجازمي (*asertif*)، والتوجيهي (*direktif*)، والتوصي (*komisif*)، والتعبري (*ekspresif*)، والإعلاني (*deklaratif*).

أ) الفعل الجازمي (*asertif*) هو الفعل الكلامي الذي يشرح ماهية شيء، ما وكيف يكون، يربط المتكلم بحقيقة ما يقوله (مثل القول والاقتراح والإبلاغ).

99 Geoffrey Leech, *The Principles of Pragmatics*, (Terjemah; Prinsip-prinsip Pragmatik), (Jakarta: Universitas Indonesia, 1993), h. 164-166.

ب) الفعل التوجيهي (*direktif*) هو الفعل الكلامي الذي يحث المتحدث على القيام بالشيء. يعمل هذا الفعل الكلامي إعطاء الفرح وأقل تنافسية لأنها لا تشير إلى اهتمامات المتحدث بل إلى المحاور (مثل الوعد والعرض وغير ذلك).

ج) الفعل التوجيهي (*direktif*) هو الفعل الكلامي يحث المحاور على القيام بشيء. يمكن لهذا الفعل الكلامي أن يأمر المحاور القيام بالشيء، سواء كان لفظياً أو غير لفظي (مثل التوسل، والمطالبة، والأمر، والنصح).

د) الفعل التعبيري (*ekspresif*) هو الفعل الكلامي الذي يحتوي على المشاعر والمواقف. يعمل هذا الفعل الكلامي على التعبير والتعبير عن الموقف النفسي للمتحدث إلى المحاور (مثل التهنة والاعتذار والتهديد).

هـ) الفعل الإعلاني (*deklaratif*) هو الفعل الكلامي الذي يعمل على تأكيد أو تصديق الفعل الكلامي الآخر أو الفعل الكلامي السابق. أي أن هذا الفعل الكلامي ألقاه المتحدث لصنع الشيء أو الوضعية أو الموقف الجديد (مثل القرار أو المنع أو السماح). من البيان السابق، عرفنا أن فهم القوة البلاغية للفعل البلاغي (*Illocution*) هو جزء أساسي لفهم الفعل الكلامي.

٣. القوة التأثيرية للفعل الكلامي (*Perlocution*) هي الفعل الكلامي الذي له تأثير على المحاور أو الشخص الذي يسمع الكلام. لذلك ذكرت القوة التأثيرية للفعل الكلامي

(Perlocution) بـ *act of affective someone* (الفعل الكلامي الذي يؤثر على

الآخرين).

ج. علم اللغة الاجتماعي في القرآن

عرفنا أن القرآن نزل باللغة العربية، وهي ناحية مهمة لكشف معانيه وأسراره. اللغة ليست هدفاً بحد ذاتها، بل هي وسيلة لنقل الأفكار والمشاعر بين البشر. تُعتبر اللغة وسيلة للاتصال وحاملة للمعلومات، حيث تقوم بدور وسيط اجتماعي ناجح يسهل التواصل بين الأفراد. يكون للأشخاص الذين يتقنون فن الكلام، ويستخدمون لغتهم بمرونة وذكاء في مختلف المجالات، القدرة على التأثير في عقول الآخرين.

هناك علاقة واضحة بين الظواهر اللغوية والاجتماعية، حيث تتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية في الزمان والمكان المحددين، وهذه العلاقة قائمة منذ بداية تاريخ اللغة والحياة الاجتماعية. في جوهر الإنسان، تكمن أهميته في لغته، وحساسيته، وحياته الاجتماعية. من أبرز الاكتشافات التي توصل إليها الإنسان على مر العصور هي اللغة، التي نشأت كنتيجة لاتفاق جماعي استجابة لاحتياجات الفرد والمجتمع. وتعد اللغة عاملاً مؤثراً في الحفاظ على هيكل المجتمع واندثارها، كما أنها تمثل جزءاً لا يتجزأ من الحياة، حيث نشأت معها، وتطورت معها، واستفادت من تقدمها، وتضررت مع تدهورها.

١٠٠ د. هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، (ساعدت الجامعة المنتصرة على طبعه الطبعة الأولى: ١٩٨٨)، ص. ٩.

وأعظم اكتشاف للإنسان عبر العصور هو اللغة، التي تميز الإنسان عن الحيوانات الأخرى. من المفيد يمكن تعريف الإنسان على أنه الكائن القادر على استخدام اللغة، إذ تُعد اللغة وسيلة اجتماعية وأداة للتواصل بين الأفراد والجماعات. وهي تساعد الفرد في التعامل مع العديد من المواقف التي تتطلب التحدث أو الاستماع أو الكتابة أو القراءة. تعتبر هذه الأنشطة الأربعة أدوات أساسية في تحقيق عملية التفاهم من جميع جوانبها، وتعد هذه الوظيفة من أبرز الوظائف الاجتماعية للغة.^{١٠١}

يسعى المجتمع بكل حرص إلى دمج الفرد فيه وتشكيل تفكيره وسلوكه وفقاً لثقافته. واللغة هي الأداة التي يستخدمها المجتمع لتحقيق هذا الهدف. من الواضح أن المجتمع، من خلال مختلف أشكاله مثل البيت والمدرسة والنادي، يلعب هذا الدور بتقديم أنماط السلوك وقواعد اللغة للفرد. وبهذه الطريقة، يكتسب الفرد شخصيته الاجتماعية ويصبح عضواً فعالاً، كما يتعلم اللغة التي يستخدمها بما يتماشى مع عرف الجماعة التي ينتمي إليها.^{١٠٢}

وقد اتفقنا أن القرآن نزل تدرجاً وتنظيماً بثلاث وعشرين سنة، فهذا دليل على أنه يقوم بحوار وتصحيح حياة الإنسان، أي أنه عرف الظروف الاجتماعية والنفسية عن المجتمع العربي. كما هو في علوم القرآن هناك سورة مكية ومدنية وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها شكلاً حوارياً بين الوحي وحياة الإنسان في ذلك العهد. وتعقيد لغة القرآن يتعلق بدراسة علم اللغة الاجتماعي، لأن لغته يتعلق بهوية اجتماعية للناطق والسامع الذان ارتكبا

١٠١ عبد العليم إبراهيم، "الموجة الفنى لمدرسى اللغة العربية" الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، ١٩٧٨)، ص. ٤٤.

١٠٢ د. محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى اللغة، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٨)، ص. ١٥٧.

عملية اتصالية، والبيئة الاجتماعية حيث وقع الحدث الكلامي واللهجة الاجتماعية وفروق أشكال النطق ومختلف الجنس الكلامي وغيرها^{١٠٣}.

علم اللغة الاجتماعي في القرآن يعتبر مجالاً هاماً لدراسة كيفية تأثير اللغة على المجتمع والعلاقات بين الأفراد في سياقات اجتماعية مختلفة. القرآن الكريم، بوصفه نصاً دينياً ولغوياً، يحتوي على العديد من الأمثلة التي توضح كيفية استخدام اللغة لتحقيق أهداف اجتماعية وثقافية محددة. من خلال الحوار القرآني، سواء كان بين الأنبياء وأقوامهم أو بين الأفراد أنفسهم، نجد أن اللغة تستخدم كوسيلة للتواصل والتأثير في الآخرين، وتوضيح القيم والمبادئ الإسلامية.

القرآن الكريم يبرز أهمية الحوار في بناء مجتمع قائم على التفاهم والاحترام المتبادل. اللغة في القرآن ليست مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل هي أداة لبناء العلاقات الاجتماعية وتوجيه السلوك البشري نحو الخير والصلاح. على سبيل المثال، نرى في حوارات الأنبياء مع أقوامهم دعوة مستمرة للتفكير والتدبر من خلال الحوار اللغوي، مما يعكس تأثير اللغة في تشكيل الهوية الاجتماعية والدينية للأفراد.

وبالإضافة إلى ذلك، يسلط علم اللغة الاجتماعي في القرآن الضوء على كيفية توظيف اللغة لتحقيق العدالة والمساواة، حيث تتجلى اللغة كوسيلة لتعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية في المجتمع. من خلال دراسة النصوص القرآنية من منظور علم اللغة الاجتماعي، يمكننا فهم

١٠٣ محمد مكيين الدين، "القرآن عند علم اللغة الاجتماعي" من الشبكة الدولية:

http://lajnah.kemenag.go.id/seminar/images/jsnuniform/jsnuniform_uploads/1/201606021101nd6_3417288858470_mushaf%20al-quran%20prespektif%20sosiolingusitik.pdf (30/07/2022).

أعمق لدور اللغة في توجيه المجتمع نحو تحقيق الأهداف الدينية والاجتماعية، وتكريس القيم التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية.

يبحث القرآن جميع الأمور لسعادة الإنسان في الحياة، فيه علوم ومعارف ونصائح وإرشادات، كلها يقدم بطرق مختلفة منها قصص الأولين. ومن قصص الأولين تقدم بالحوارات بين الأفراد مثل الأباء والأبناء. الأباء والأبناء هم من أعضاء المجتمع، فطبعاً كان الحوار بينهم وقع بالحدث الكلامي والفعل الكلامي. حتى تكون تلك الحوارات يستطيع أن تحلل بعلم اللغة الاجتماعي.

الفصل الثالث: علم التربية الإسلامية

أ. مفهوم التربية الإسلامية

تعددت دلالات كلمة التربية في قواميس اللغة العربية وتنوع، لكن معظمها يشير إلى أصول لغوية متعددة. من خلال الاطلاع على هذه الأصول، يمكن تحديد المعنى اللغوي للتربية، والتي يمكن تلخيصها في خمسة أصول رئيسية:

الأصل الأول: رَبَا يَرْبُو بِمَعْنَى زَادَ وَنَمَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ^ص وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ .

الأصل الثاني: أن تكون بمعنى نَشَأَ وَتَرَعَّرَعَ^{١٠٤}.

١٠٤ جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، "لسان العربي"، (بيروت: دار الفكر العربي، ٢٠٠٠)، ج. ٥، ص. ٦٩ .

الأصل الثالث: أن تكون بمعنى حَفِظَ وَرَعَى، وفي الحديث (لَكَ نِعْمَةٌ تَرَبُّهَا أَي تَحْفَظْهَا وترعاها).

الأصل الرابع: أن تكون بمعنى أَصْلَحَ وَأَسَّسَ، ومنه رَبَّيْتُ الْقَوْمَ أَي أَسَّسْتُهُمُ والعرب تقول: لَأَنْ يُرَبِّبَنِي فُلَانٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُرَبِّبَنِي فُلَانٌ، بمعنى أَنْ يَكُونَ فَوْقِي وَسَيِّدًا يُمْلِكُنِي.

الأصل الخامس: الرسوخ في العلم ومنه العالم الرباني أي الراسخ في العلم^{١٠٥}.

يتبين من ذلك أن التعريفات اللغوية تركز على مفاهيم الرعاية، والمحافظة، والسياسة، والعلم، والتنمية، والنمو، والتطور. وتوضيح ذلك بشكل أفضل، يمكن استعراض بعض التعريفات العامة التي قدمها الفلاسفة والمفكرون للتربية كما يلي:

قال أرسطو (*Aristoteles*) الفيلسوف اليوناني: إن التربية إعداد الفعل للتعليم كما تعد الأرض للبذر. وقال أيضا: إن في الإنسان قوتين هما فكرية إنسانية وشهوانية بهيمية، والتربية هي الوسائل التي بها تتغلب الأولى على الثانية.

يؤكد الإمام الغزالي في آرائه التربوية أن الهدف الأساسي للتربية هو الاقتراب من الله تعالى والاستعداد للحياة الآخرة. لذلك، دعا إلى تربية الأطفال تربية دينية وأخلاقية تركز على التقشف والزهد في الملذات، حتى وإن كانت بريئة منها.

وقال علي أحمد مدكور^{١٠٦}: التربية هي عملية معقدة ومتنوعة، تنبع من الرؤية الإسلامية للكون والإنسان والحياة، وهدفها تحقيق تطوير الإنسان وتحقيق كماله بشكل

١٠٥ سعيد إسماعيل علي، "القرآن الكريم رؤية تربوية"، (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٠)، ص. ٢٧.

١٠٦ علي أحمد مدكور، "منهج التربية الإسلامية في التصور الإسلامي"، (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٢)، ص. ٣١.

تدرّيجي حسب الخطة التي وضعها الله له. من خلال ذلك، يمكن للإنسان أن يؤدي دوره كخليفة على الأرض، من خلال إعمارها وتحسين الحياة على سطحها وفقا لمنهج الله. ويمكن أن نسط تعريف التربية شمولاً بقول: إنها عملية بناء الشخصية الشاملة، التي تشمل جوانبها الروحية، العقلية، الوجدانية، الخلقية، الاجتماعية، والجسمية، والتي تتيح للفرد التكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش ضمنها.^{١٠٧}

ومن البيان السابق يعرف أن التربية الإسلامية هي الإرشاد الذي يعطيه الشخص شخصاً آخر ليكون ناشئاً كاملاً مناسباً بالإسلام.^{١٠٨}

ب. عناصر التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية عناصر عديدة وهي^{١٠٩}:

١. الأنشطة التعليمية (Teaching Activities)؛
٢. والطالب (Student)؛
٣. والأساس أو الغرض (Principle and Purpose of Education)؛
٤. والمربي أو المدرس (Teacher)؛
٥. والمادة الدراسية (Material Teaching)؛

١٠٧ عبد الحميد الصيد الزتاي، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، (ليبيا: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤)، ص. ٢٥.

١٠٨ Ahmad Tafsir, *Ilmu Pendidikan Perspektif Islam*, (Bandung: Rosda Karya, 2011), hal. 32.

١٠٩ Nur Uhbiyati, *Dasar-dasar Ilmu Pendidikan Islam*, (Semarang: Pustaka Rizki Putra, 2013),

hal. 25.

٦. والطريقة (Method)؛

٧. والتقويم (Evaluation)؛

٨. والوسيلة التعليمية (Teaching Media)؛

٩. والبيئة (Environment).

ج. أغراض التربية الإسلامية

الغرض هو شئٍ مرجو اكتسابه بعد انتهاء من السعي أو النشاط. بناء على ذلك كان تكوين الشخصية الإسلامية هو من واجبات التربية الإسلامية. أما أغراض التربية الإسلامية كما قالها الحازمي فتدور على الأمور التالية^{١١٠}:

١. البناء العلمي (Knowledge Building)

العلم الشرعي هو مفتاح الخير كله، حيث يتيح للمرء معرفة ما أوجبه الله عليه وما نهاه عنه، ويعرفه بالفضائل ويحثه على اتباعها، وبالرذائل ويمنعه من الوقوع فيها. وأهم وأفضل العلوم هو علم الدين، لأن معرفة الدين تساهم في هداية الناس، بينما الجهل به يؤدي إلى الضلال. فالشخص الجاهل بدينه يجهل خير الدنيا والآخرة، بينما الشخص العارف بدينه يكون على دراية تنفعه في الحياة الدنيا والآخرة، فيصبح راعبًا في الخير وممارسًا له، وكارهًا للشر ومبتعدًا عنه.

١١٠ خالد بن حامد الحازمي، "أصول التربية الإسلامية"، (المدينة المنورة: دار عالم الكتب، ٢٠٠٠)، ص. ٧٣.

العلم هو زينة للمسلم وعلامة سعادته، لأنه ضروري له في عبادته، وفي عمله، وفي منزله، ومدرسته، وفي حيّه، وفي كافة جوانب حياته الشخصية والاجتماعية. وبذلك يتضح أهمية العلوم وأهمية بذل الجهد في طلبه، وأنه أفضل ما يسعى إليه الإنسان، وأنه جدير بكل مسلم أن يأخذ خطه من العلم الذي يقربه إلى الله تعالى، وأن على من اشتغل بالعلوم العامة النافعة للأمة أن لا ينسى خطه من علم الفقه في الدين.

٢. البناء العقدي (Conviction Building)

العقيدة هي ما ترسخ في القلب وازداد تأكيده، ليصبح يقينًا لا يعتريه الشك. أما العقيدة الإسلامية، فإن أساسها هو الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، سواء كان خيره أو شره. والإيمان هو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

تجلى أهمية العقيدة الإسلامية في حياة البشرية من جوانب متعددة، مما يبرز ضرورة العناية بتربية النشء عليها. من بين هذه الجوانب: قبول الأعمال، الثبات الأخلاقي، الاستخلاف، تمكين المؤمنين، ولاية الله وهدايته لهم، العزة والرفعة، النصر، والأمن والطمأنينة.

وإن للإيمان آثاراً تربوية على حياة وسلوك الإنسان، وتكون هذه الآثار بحسب القوة الإيمانية التي يحملها الفرد بين جوانحه وهي: ضابط للقلق النفسي، وضابط للدوافع النفسية، والثبات على المبدأ، وتحقيق التآخي الاجتماعي.

٣. البناء التعبدي (*Worship Building*)

إن الله تعالى خلق الإنسان ليعبده، ويطيعه، ويخلص له وحده، ولا يوجه أي عبادة لغيره، قال الله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿الذاريات: ٥٦﴾، أي إنما خلقتهم لأمرهم لعبادتي لا لاحتياجي إليهم.

للعبادات تأثيرات تربوية كبيرة تنعكس على تصرفات الإنسان. فالذين يلتزمون بأداء العبادات بشكل صحيح يتمتعون بسمو أخلاقي أعلى، بينما أولئك الذين يقللون من العبادة يكونون أقل انضباطاً أخلاقياً. وهذا يبرز العلاقة الوثيقة بين العبادة وسلوك الإنسان مع نفسه ومع الآخرين. ومن أهم الآثار التربوية للعبادة هي المجاهدة وقوة الإرادة، وتربية التعاون والترابط، وتربية الفضائل، ووقاية من الانحرافات.

٤. البناء الخلفي (*Character Building*)

وفي الإسلام، أولت الأخلاق اهتماماً كبيراً، حيث تناولتها آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بشكل دقيق. وقد وضعت ضوابط أخلاقية، وإذا التزم الأفراد والجماعات بها، فإنهم يحققون النجاح ويتعدون عن

الانحرافات التي تؤدي إلى الدمار الأخلاقي والصراعات الاجتماعية والنفسية التي تعاني منها بعض المجتمعات.

وتقوم عملية التربية الخلقية أثناء تدريسها أو تنشئتها في أذهان المتربين على ما يأتي:

- (١) تحليل الفضائل الخلقية، ببيان ثوابها وفوائدها على الفرد والمجتمع.
 - (٢) تحليل الرذائل الخلقية من خلال توضيح العقوبات المرتبطة بها وأضرارها الكبيرة على الفرد والمجتمع.
 - (٣) تأييد تلك التوجيهات يتم من خلال ما يشاهد ويسمع من تدهور في سلوكيات المجتمعات التي لا تهتم بالجانب الأخلاقي، وذلك عن طريق استخدام القصص والأمثلة واستخلاص العبر من الأحداث والمصائب والكوارث التي تصيب الفاسدين والمفسدين.
- وهكذا، يتجلى مدى أهمية هذا الأصل الإسلامي الكبير، الذي يعكس طبيعة الإنسان والصفات التي يحملها، وينعكس في سلوكياته وتصرفاته مع نفسه ومع الآخرين. وقد أعطى الإسلام اهتماما كبيرا لهذا الأصل، حيث كان هدفا من أهداف البعثة النبوية التي جاءت لإتمام مكارم الأخلاق.

٥. البناء المهني (*Profesional Building*)

لقد شرف الله تعالى بهذا الدين القيم، الذي تناول شؤونهم الدنيوية والأخروية بشمولية ليس لها نظير ولا مكافئ، ومن ذلك الكسب المعيشي، حددت الشريعة الإسلامية المهن والأعمال المحرمة، وأوضحت أهمية العمل وحثت عليه، ونظمت العلاقة بين أصحاب المهن والعاملين بطريقة تضمن علاقة خلقية متبادلة ومشرفة بين الطرفين. كما أضافت بُعداً خلقياً يجعل الفرد المؤمن يعمل في مهنته وهو يشعر بالمسؤولية تجاه ربه فيما يتعلق بحقوق هذا العمل.

والجانب العملي له أهمية كبيرة في حياة الأفراد والأمم، فعليه ينبنى اقتصادات المجتمعات، وبه تتقدم الأمم في المجال الصناعي والزراعي والتجاري، وفي غيرها من مجالات الحياة. ولذلك اهتمت الشعوب بالأعمال الفنية والمهنية، وأنشأت لها المعاهد والمدارس والمراكز والجامعات، ووظفت لها طاقات بشرية مكثفة، وإمكانات مالية ومادية ضخمة التقديرات.

٦. البناء الجسمي (*Physical Building*)

ركز الإسلام على تطوير جميع جوانب الإنسان، من الروح والعقل والأخلاق إلى الجسم، واعتنى به كفرد له حقوقه ومشاعره وحاجاته وقدراته الخاصة. كما اهتم به كعضو في جماعة المسلمين، فوجه الإسلام في كل هذه الجوانب بما يعزز سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ومن تلك الجوانب التي بصددھا الدراسة الجانب الجسمي الذي اهتم به الإسلام وقاية وإنمعا وعلاجا، وجعل الاهتمام به وسيلة لغاية، وليس غاية لذاتها . إن التربية الجسمية أمر مطلوب لأهداف عديدة في ضوء التربية الإسلامية، وسواء كانت بالتنمية الغذائية والحركية، أو بالعلاج والوقاية، فهي تختلف في أهدافها عن التربيّات المخالفة للمنهج الإسلامي، حيث تهدف التربية الإسلامية إلى عدة الأمور منها لأداء الواجبات، ولمقاومة الأمراض، وليكون أكثر نشاطا للعمل .

اعتمادا على ذلك، يبدو لنا أن التربية الإسلامية لها أهداف واسعة وعميقة تسعى الحوائج الإنسانية وعمقها كمخلوق فردي واجتماعي عابد الخالق. لذلك كانت أهداف التربية الإسلامية هي عملية لتكوين الشبابية في التلاميذ ليعيشوا على حسب أنفسهم وأيديهم لجميع نواحيها .

د . مصادر علم التربية الإسلامية

فأما مصادر التربية الإسلامية تأخذ مما يلي:

١ . القرآن الكريم

القرآن الكريم هو الكتاب العزيز والتصور الشامل والدستور الخالد الذي لا يأتيه الباطل أبدا، أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليهدي الناس من الظلمات إلى النور . لذلك، يعتبر القرآن مصدر القيم الإسلامية الأساسية، فهو هدى ورحمة لجميع البشر، ويجب

على المؤمنين الإيمان به والعمل بما جاء فيه. من يتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن كل سورة وآية تسعى لغرس قيم سامية مثل التقوى، بالإضافة إلى قيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوفاء بالعهد والأمانات. وقد استقى الرسول صلى الله عليه وسلم قيمه من القرآن، وكان خلقه مطابقاً لما جاء فيه، وحرص الصحابة على حفظه والعمل به دون تعديل.

٢. الأحاديث النبوية

الأحاديث تشير إلى ما نُقل بالسند الصحيح من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتركه، ووصفه، وإقراره، وسلوكه، بما في ذلك ما أحبه وما كره وأحوال حياته، سواء قبل أو بعد البعثة. فهي توضح ما يتعلق بجميع جوانب حياة الإنسان والقيم التربوية، لذا تُعتبر السنة النبوية المصدر الثاني للقيم التربوية.

٣. إجماع الأمة

الإجماع هو ما اتفق عليه المسلمون في فترة معينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن حكم شرعي لقضية محددة، ويمكن اعتبار هذا الاتفاق مصدراً من مصادر التربية الإسلامية. وفقاً لأبي العيين، يعتبر الإجماع مصدراً ثالثاً للقيم، حيث يبرز دور العقل في الشريعة الإسلامية.

ولأن التربية أمر أساسي في حياة الإنسان، لذلك تنوعت القيم التربوية التي تحيط بجميع جوانب الحياة. وهي الجوانب الإيمانية والتعبدية والعلمية والعملية والدعوية والأسرية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والقضائية والسياسية والجهادية والبيئية والجمالية.

فأما وجوه العلاقة بين حوار الأبناء والأبناء في القرآن الكريم بدراسة علم اللغة الاجتماعي فتدور حول معاملة الأب والابن عامة ومعاملة المدرس والطالب خاصة من جانب الخلق والاتصال بينهما .

